

من اصدرات الاتحاد الدولي للمؤرخين

**النقد التاريخي**  
**دراسات وقراءات جديدة**

مجموعة مؤلفين

اصدار الاتحاد الدولي للمؤرخين

# النقد التاريخي... دراسات وقراءات جديدة

## المشاركون

أ.د إبراهيم سعيد البيضاني / العراق

أ.د رضوان باتو / المغرب

أ. م د. عيساوة محمد / الجزائر

د. سمير لعري / المغرب

د. فاطمة سالم عمر العقيلي / ليبيا

أ.د صالح حسن المسلوت / مصر

وقائع الندوة العلمية التاريخية التي عقدها الاتحاد الدولي للمؤرخين

**النقد التاريخي...  
دراسات وقراءات جديدة**



## **النقد التاريخي... دراسات وقراءات جديدة**

أ.د إبراهيم سعيد البيضاني / العراق

أ.د رضوان باتو / المغرب

أستاذ محاضر د. عيساوة محمد الجزائر

د. سمير لعري / المغرب

د. فاطمة سالم عمر العقيلي / ليبيا

أ.د صالح حسن المسلوت / مصر

وقائع الندوة العلمية التاريخية التي عقدها الاتحاد الدولي للمؤرخين..  
للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية ١١/١٢/٢٠٢٣

907

ب ٩٦٢ / البيضاني .. إبراهيم سعيد

## النقد التاريخي... دراسات وقراءات جديدة / إبراهيم سعيد

البيضاني

ط ١ - بغداد: دار الحدائثة، ٢٠٢٥.

١٤٨ ص. ؛ ٢٤ سم.

١. التاريخ - دراسات أ- العنوان

رقم الايداع

٢٠٢٥ / ١٢٣٩

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

مرفق الإيداع في دار الكتب والوثائق بغداد (١٢٣٩) لسنة ٢٠٢٥

لا يجوز نشر أي جزء من هذا كتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو أو باي طريقة كانت

(الالكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form by any means, Electronic, Mechanic photocopying, recording or otherwise without prior permission in writing of the writer or of the publisher.



[www-alhadatha.site123.me](http://www-alhadatha.site123.me)

[krmalbtat371@gmail.com](mailto:krmalbtat371@gmail.com)

رقم الموبايل: ٠٧٧٠٤٣١٠٥٤١ - ٠٧٥٠٥٦٠١٥٥٢

## مقدمة

في ظل التحديات المتزايدة التي تواجه علم التاريخ اليوم، أصبح النقد التاريخي أداة لا غنى عنها لفهم الماضي وتحليل الظواهر الإنسانية من منظور علمي ومنهج. النقد التاريخي لا يقتصر فقط على تفكيك الروايات التاريخية أو التحقق من صحتها، بل يشمل أيضاً دراسة آليات تشكيل المعرفة التاريخية ودورها في بناء الهويات والتأثير على المستقبل. ومن هذا المنطلق، جاء انعقاد الندوة العلمية التي نظمها الاتحاد الدولي للمؤرخين عام 2023، والتي تمحورت حول استكشاف أساليب ومناهج النقد التاريخي في مواجهة التحديات الفكرية والبحثية في هذا المجال.

يقدم هذا الكتاب مجموعة من الأبحاث العلمية التي تم طرحها ومناقشتها خلال الندوة، والتي تمثل حصيلة جهود نخبة من الأكاديميين والباحثين المتخصصين من مختلف أنحاء العالم. تنوعت محاور هذه الدراسات بين تحليل المصادر التاريخية، قراءة في مفهوم وأهمية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين والمفكرين، وإسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية، والعلوم المساعدة في نقد التصوص والوثائق التاريخية، فضلاً عن الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين، والتفسير التاريخي عند المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة، ونقد فقرات من الكتاب الرابع لهيرودوتس.

يأتي هذا العمل ليكون منصة تجمع بين عمق البحث العلمي وحيوية النقاش الفكري، في محاولة لتقديم مساهمة جادة لفهم أكثر عمقاً وشمولية لدور النقد التاريخي في إعادة تشكيل سرديات الماضي واستشراف أفق المستقبل. إن هذا الكتاب ليس فقط شهادة على تطور الفكر التاريخي في عصرنا، بل هو

دعوة مفتوحة لكل الباحثين والمهتمين بالمجال التاريخي لاستكمال الحوار حول  
هذا الموضوع الحيوي والمثير للاهتمام.  
نسأل الله أن يكون هذا العمل إضافة قيمة لمكتبة الفكر التاريخي، ومصدراً  
يلهم الباحثين والدارسين في سعيهم نحو فهم أكثر دقة وموضوعية لتاريخ  
الإنسانية.

## قراءة في مفهوم واهمية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين والمفكرين

أ.د إبراهيم سعيد البيضاني  
رئيس الاتحاد الدولي للمؤرخين

يعد النقد التاريخي أحد أعمدة العلوم الإنسانية التي تهدف إلى الكشف عن حقائق الماضي وتحليلها بمنهجية علمية دقيقة. وهو أداة أساسية تسهم في تصحيح الرؤية التاريخية وفهم تطوراتها ضمن سياقاتها الثقافية والسياسية والاجتماعية. في بحثي الموسوم "قراءة في مفهوم وأهمية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين والمفكرين"، استعرض فيه النقد التاريخي ومناهجه وأساليبه المختلفة التي اعتمدها المدارس التاريخية المتعددة.

يبدأ البحث بقراءة في مفهوم النقد التاريخي وتعريفه، متناولاً الأبعاد المختلفة لهذا المصطلح وأهميته في تعزيز المصدقية التاريخية. ثم ينتقل إلى دراسة أحد أبرز تطبيقات النقد التاريخي في التراث الإسلامي من خلال منهج "الجرح والتعديل"، الذي مثل أساساً متيناً للتوثيق والتحليل. كما يُسلط الضوء على أهمية النقد التاريخي باعتباره أداة للتحقق من صحة الأحداث والوقائع التاريخية، مما يساعد في بناء رؤى علمية ومنهجية للتاريخ. ويأخذ البحث القارئ إلى رحلة في عالم النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، موضحاً الإسهامات الفريدة التي قدموها في هذا المجال، مع التركيز على دور العلماء المسلمين في وضع أسس هذا العلم وتطويره. كما يناقش النقد التاريخي في المدارس الفكرية الحديثة، حيث طرحت رؤى جديدة وأساليب مختلفة تتلاءم مع متغيرات العصر وتحدياته.

وفي ختام الورقة العلمية تناولت النقد التاريخي عند ابن خلدون الذي أحدث نقلة نوعية في كتابة التاريخ وتحليله، عبر تقديمه منهجاً نقدياً يقوم على فهم العلاقات بين الأحداث والتطورات البشرية. فالباحث يسعى إلى تقديم صورة شاملة للنقد التاريخي بمفهومه وأهميته

وأساليبه، مستعرضًا الرؤى المختلفة للمؤرخين والمفكرين، سواء في التراث الإسلامي أو في العصر الحديث.

## قراءة في المفهوم والتعريف

مفردة النقد مشتقة من فعل نقد، فيقال نقدت الدراهم وانتقدتها، اذ اخرجت منها الزيف، فالنقد تمييز الدراهم واخراج الزيف منها، وناقدت فلانا اذا ناقشته في الامر، ونقد الشئ نقدا اذا نقره بأصبعه، واصطلاحا النقد يعني دراسة الاعمال والكشف عما فيها من جوانب القوة او الضعف والجمال او القبح ثم اصدار الاحكام عليها.<sup>1</sup>

فالنقد التاريخي هو التحقيق مع النص وملاحظة ما فيه من حساسية ودقة، وهو عملية فكرية لتقويم وضبط النص وتقرير مصداقيته، وقبوله كحقيقة علمية، ويتطلب عمليات فحص وتدقيق لمعرفة وقراءة الحدث والتحقق من صحة الاسانيد ومقارنة الحدث من زوايا اخرى ومقارنته مع مصادر اخرى.<sup>2</sup> وهو ممارسة علمية منهجية ينتقل فيها المؤرخ من مرحلة القراءة والاقتراس الى مرحلة الفحص والتدقيق والتحصيص، بغية الوصول الى الحقيقة التاريخية بجداد تام.<sup>3</sup>

## اهمية النقد التاريخي

ومهمة الناقد كبيرة وخطيرة الاهمية، اذ يجب ان يلم بثقافة واسعة وفهم عميق للموضوع الذي هو بصدد نقده، ولديه خبرة واسعة بالمقارنة، اذ ان الهدف كبير ومهم

<sup>1</sup> منصورية قدور، النقد التاريخي واهميته في ابراز الحقيقة التاريخية، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والانسانية، المجلد 7/ العدد 1 (2021)، 519.

<sup>2</sup> حياة تاجي، النقد التاريخي ودوره في ابراز الحقائق التاريخية، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد 45، ايلول 2019، 11.

<sup>3</sup> منصورية قدور، المصدر السابق.

هو اثبات او نفي الرواية.<sup>1</sup> ويرى ابن خلدون ان على المؤرخ ان يكون حذرا عند نقل الاخبار، لان مجال التشويه واسع والنفس البشرية سهلة الانخداع لما فيها من نقاط ضعف، ولان الغالبية تجهل اصول التحقيق التاريخي والقوانين الاجتماعية التي تفرق بين المعقول وغير المعقول من الحوادث.<sup>2</sup>

تكن اهمية النقد التاريخي في انه يهدف الى التوصل الى الحقيقة وتوضيح المعلومات الواردة وبيان صحتها او بطلانها، فهو وسيلة من اجل دراسة وفهم المصدر من احداث ووقائع، يهدف الوصول الى استخلاص الحقائق التاريخية وتميزها عن الباطلة، وذلك وفق قواعد وشروط لا بد ان يتحلى بها المؤرخ، في ان يكون النقد بعيدا عن الحب والكراهية وعن الصراع بين الانا والاخر، وبعيد عن التعصب لفكرة، او مذهب، او قبيلة او لجنس او دين.<sup>3</sup>

واعتمد المؤرخين المسلمين النقد التاريخي لأثبات صحة النصوص والتوصل الى نتائج مهمة من خلال منهج علمي تاريخي للوصول للحقيقة التاريخية. ووجه النقد لمؤرخي فترة ما قبل الاسلام ووصف منهجهم وتواريخهم بأنه مضطرب وفاسد، وان تحقيق التواريخ القديمة متعذر وفيه اخطاء جسيمة، ولعل طول المدة هي سببا لهذا الاضطراب وعدم الثقة بهذه التواريخ، فالأثم تتبدل وتتغير الاحوال وتنتقل من حال الى حال، وهو بذلك مشابه لرأي ابن خلدون في مقدمته.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حياة تايبي، المصدر السابق، 11.

<sup>2</sup> منصوره قدور، المصدر السابق، 523.

<sup>3</sup> منصوره قدور، المصدر السابق، 520.

<sup>4</sup> شمخي يابر عويد، منهج النقد التاريخي عند ابو الفدا (732هـ-1331م) في كتاب المختصر في اخبار البشر، وقائع مؤتمر دولي عقدته كلية التربية للعلوم الانسانية بجامعة واسط بالتعاون كلية العلوم الانسانية بجامعة دهوك حزيران 2022، 324.

## الجرح والتعديل

الجرح والتعديل، وهو من قواعد النقد اعتمده الرواة والمؤرخون، واتسعت استخداماته من رواية الحديث الى الدراسات التاريخية وتعد الطريقة التي يضبط من خلالها اسناد الأحاديث النبوية المروية الى روايتها ولمعرفة عدالة الراوي وصحة روايته وصحة نسبها الى الرسول عليه وعلى ال بيته الصلاة والسلام من اهم الانجازات المنهجية التي شهدتها طرائق المعرفة التاريخية والتي دخلت التدوين التاريخي، فأفاد منها علم التاريخ في الحضارة العربية الاسلامية. ومع اطلالة القرن الثاني للهجرة الذي حمل خلافتات فقهية وكلامية وسياسية بين المسلمين، اضحى الاسناد ضرورة، لان كل فريق كان يلجا الى رواية حديث ينسبه الى الرسول ويبرر من خلاله رايه او موقفه.<sup>1</sup> فالبحث في قوة وصدق السند تعد مفصلا مهما في معرفة الرواية وتأكيد مصداقيتها وصحتها.

مع عصر التدوين اكتسب الاسناد وطرائق ضبطه (الجرح والتعديل) اهمية أكبر، اذ ان التدوين يعطي للحديث امكان اثباته من دون حاجة الى حفظ، ويمنع الى حد كبير احتمال التزوير عن طريق العنونة الشفهية، ويعرف علماء الحديث الجرح والتعديل الاسناد بانه علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، والجرح يعني اصطلاحاً رد رواية الراوي لعلة قاذحة فيه او في روايته من فسق او تدليس او كذب او شذوذ، اما التعديل فهو وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته، اي بما يتصف به الراوي الثقة من اوصاف الامانة والصدق ومملكة الحفظ والفهم،

<sup>1</sup> وجيه كوثاني، تاريخ التاريخ، اتجاهات، مدارس، مناهج، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ط/3، بيروت 2013 81.

وعموما فان الجرح والتعديل هما اظهر من كان من احوال اهل العلم ثقة او غير ثقة.<sup>1</sup>

ان ظهور علم التجريح والتعديل والعمل بفحص الأحاديث النبوية وتدقيقها وتمييز الصادقين والكاذبين من الرواة، ومعرفة الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن المدسوسة يعد بدايات ظهور النقد التاريخي عند المسلمين. وعلى الرغم من البدايات كانت دينية ارتبطت مع الأحاديث النبوية، الا ان مجالاتها اتسعت وشملت العلوم الاخرى ومنها علم التاريخ.<sup>2</sup>

في النقد يتم التركيز على تدقيق الحالة النفسية والعقلية للمؤلف وقدرته على التحمل والاداء، وان لا يكون مدفوعا بدوافع اخرى، لذلك فان الفحص والتدقيق والتحري تعد من اساسيات النقد. وحتى المناهج النقدية الاوربية الحديثة تعتمد اسلوب مشابهة لما كان يعتمده المسلمين في نقد الرواة والتأكد من صحتها وصدقها، فيجري الاهتمام بالمؤلف ودراسة حالته والتثبت من مصداقيته.<sup>3</sup>

والنقد التاريخي في دراسات المستشرقين احتل مكانة عليا في الدراسات التاريخية، وأصبح سمة البحث العلمي التاريخي، الا انهم وقعوا في خطأ كبير في تقديم للدراسات القرآنية والسنة النبوية عندما طبقوا منهجهم في نقد الكتاب المقدس، ويعد هذا التعميم خطأ واضح، حين اعتقدوا انه لا فرق بين النصوص الدينية اليهودية والنصرانية من جهة وبين النصوص الدينية في الاسلام.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، 82.

<sup>2</sup> شمخي يابر عويد، فاضل جابر ضاحي، المصدر السابق ، 325.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 331.

<sup>4</sup> ميرا أكبر شاه، سيد نعيم بادشاه، حول استخدام النقد التاريخي في دراسة السنة عند المستشرقين، مجلة تهذيب الافكار، المجلد 5 العدد 1 ، يناير يونيو 2018، 189.

وعلى الرغم من هذا الانتقاد والملاحظات حول ذلك، إلا أننا لا ننكر على المستشرقين دورهم في استخدام منهج النقد التاريخي والتوسع في هذا المنهج وامتلاك ادواته العلمية للوصول الى الحقائق والنتائج التاريخية، وظهر من المستشرقين من اهتم بالدراسات القرآنية مثل تيودور نولدي و يوليوس فلهاوزن، في حين ظهر برز من المستشرقين الذي اهتموا بموضوعات السنة النبوية مثل اجناس جولدتسيهر (1850-1921) وكايتاني ( 1869- 1935 ) وجوزيف شاخت (1902-1969).<sup>1</sup>

والنقد يميزون نوعان من النقد نقد داخلي وخارجي، وتقوم مناهج نقد النصوص والوثائق القديمة في مناهج البحث الحديثة على ركيزتين هما النقد الداخلي والنقد الخارجي، فالنقد الخارجي للوثيقة يتضمن مصدرها وتاريخ انتقائها وكيفية وصولها وحالتها والتأكد من صحة المصادر ونسبتها الى من اصدرها او الفها. في حين ان النقد الداخلي يهتم بالتعرف على مضمون الوثيقة من خلال تحليل الخطوط واللغة، وما تحتويها من معلومات وفقا لمقاييس تاريخية وعقلية والوقوف على المعنى الحرفي والحقيقي للنص او متن المصدر.<sup>2</sup>

ومطلوب عند نقد الوثيقة، فحصها ومعرفة لغتها وصيغتها، وملاحظة كل المعلومات الايجابية الموجودة فيها، اذ ان في الوثيقة وقائع واشارات الى احداث، يمكن ان تكون معروفة عن طريق اخر وبواسطة مصادر اخرى، وهذا يثبت صحتها.<sup>3</sup> بوجه عام التحليل الباطن لوثيقة ما يقدم افكار كافية للدلالة على مصادرها، والمقارنة المنهجية بين مختلف عناصر الوثيقة المحللة والعناصر المناظرة في الوثائق المشابهة لها

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 190.

<sup>2</sup> شمخي يابر عويد، فاضل جابر ضاحي، المصدر السابق، 325.

<sup>3</sup> عبدالرحمن بدوي (مترجم)، النقد التاريخي، ط/4، الكويت 1981، 68.

والمعروف مصدرها، والنتائج التي حصلنا بواسطة التحليل الباطن تكمل وتحقق بواسطة جمع كل المعلومات الخارجية المتعلقة بالوثيقة موضوع النقد، والتي توجد متفرقة في وثائق من نفس المصدر او من عصر أحدث.<sup>1</sup>

الحدث التاريخ عند المؤرخ الوضعاني كالتجربة التي يمارسها عالم الطبيعيات في مختبره، فيحرص على استخدام الارشيف ويعمل على اثبات صحة الاحداث بالوسائل النقدية التي حددها علماء النظرية الوضعية بأربعة خطوات تمثل بتجميع الوثائق ونقدها وضبط الاحداث والمرحلة الاخيرة ترتيبها، وبما التاريخ ليس ادبا وانما علما، فالمؤرخ الوضعاني عليه ان يجمع أكثر ما يمكن من الوثائق والمعطيات وادراج قائمة في المصادر المستخدمة ويقوم بالتحليل والتدقيق والاحصاءات، ويحيل القارئ الى قائمة المصادر للثبوت من صحة الوثائق.<sup>2</sup>

ويرى ان نقد الوثائق نوعان، نقد خارجي يثبت صحة الوثيقة وتاريخها الدقيق وصاحبها واصلها، ونقد داخلي يثبت مصداقية مضمون الوثيقة، وفي مرحلة التحليل في التأليف يعتمد مقارنة الوثائق وتجميع الاحداث في اطر عامة مثل المعطيات الطبيعية والانشطة الاقتصادية والفئات الاجتماعية والمؤسسات السياسية وغيرها، ثم اقامة العلاقة بين هذه الاحداث واخيرا التأليف.

ومن الانتقادات الموجه الى منهجية كتابة التاريخ عند المؤرخ اوغست كونت ان نظريته الوضعية جعلت دراسة المجتمع مساوية لدراسة الطبيعة، في الوقت الذي يتمتع فيه كل عنصر بخصوصيته، فضلا عن المؤرخ اوغست كونت اعتمد في منهجه

<sup>1</sup> عبدالرحمن بدوي (مترجم)، النقد التاريخي، ط/4، الكويت 1981، 68.

<sup>2</sup> محمد بن موسى، منهجية كتابة التاريخ عند اوغسط كونت، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، المجلد/10 العدد 1، 2001، مجلة علمية تصدر عن جامعة الشلف/الجزائر، 350.

التاريخي على جمع أكثر الدلائل او الوثائق الارشيفية لاجل الملاحظة، ولم يراعي ان من الممكن ان يواجه الباحث ندرة هذه الوثائق او اتلافها.<sup>1</sup>

### النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين

التاريخ الاسلامي حفل بتقديم مؤرخين لهم مناهج بحث علمي تاريخي، لا بد ان نذكر بعضا من اتجاهاتهم في اعتماد النقد التاريخي.

الطبري في منهجه التاريخي يعرض مختلف وجهات النظر، ويتجنب اعطاء حكم قاطع، فضلا عن انه لا يفضل رواية على اخرى الا نادرا. ولا يتقيد بضوابط اهل الحديث بشأن الرواة الضعفاء وعدالة الرواة، فقد اعتمد على كثير من الرواة المتهمين بالكذب والضعف، فضلا عن انه لم يقتصر على المصادر الموثوقة، بل يضع القارئ امام وجهات نظر مختلفة.<sup>2</sup> وبالتالي فان الطبري مؤرخا غير ناقد.

يعد المسعودي ( 283هـ-346هـ / 896م-956م) من كبار المؤرخين المسلمين لتمييزه بالعلمية والعقلية التاريخية الفذة، قد امتلك قدرة نقدية كبيرة، والنقد التاريخي عنده يتسع لكل جوانب العمل التاريخي: المؤرخين، المصادر، والنصوص، والدوافع، فهو في نقده للنصوص يكشف عن قدرة بالغة في فهمها.<sup>3</sup>

في حين تتفق المصادر على ابن عبد البر (368 هـ - 463 هـ) نهل من شتى العلوم، وتفقه في قرطبة، ومكانته العلمية وما يتمتع به من معرفة لقب بالحافظ والفقير والمحدث، وما يؤكد امتلاكه للمعرفة بشتى العلوم هو مؤلفاته والموسوعات التي قام بتأليفها بعلم القراءات والتجويد وعلم الحديث والفقير والادب والتاريخ.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، 351.

<sup>2</sup> زعيتري احمد، منهج النقد التاريخي عند الطبري، جامعة زيان عاشور الجلفة.

<sup>3</sup> شمخي يابر عويد، فاضل جابر ضاحي، المصدر السابق ، 325..

<sup>4</sup> احمد عليوي صاحب، المؤرخ ناقد.. دراسات وبحوث في النقد التاريخي، ط1، سوريا 2002، 12.

بعد ان وجد ابن عبد البر امامه مجموعة من الروايات المتضاربة حول حادثة تاريخية واحدة، فقد تصرف كمؤرخ ناقد من خلال التفاضل والموازنة بين النصوص وترجيح الصحيح منها، وهذا بالتأكد يأتي من اخضاع الروايات لمقاييس ومعايير علمية ويقوم بعملية التدقيق والنقد والتصويب. فقد امتلك ابن عبد البر مفردات في منهجه التاريخي والنقدي مثل: اختلف في وقت وفاته، وقال غيره، وقيل، والاول هو الاصح، وزعم، فضلا عن ذلك يعرض الروايات الضعيفة ثم يقدم ما يعتقدده هو الصحيح، ويظهر الجانب النقدي عند ابن عبد البر في التضعيف والتشكيك، ورفض بعض الروايات، ولا يتوقف النقد التاريخي عنده في بيان الصحيح او الخطأ، بل ذهب الى انتقاد اخطاء المؤرخون السابقون في عرضهم لرواياتهم التاريخية، وبالنتيجة يدعم رايه بادله تعضده من جهة وتكشف خطأ راي الاخرين.<sup>1</sup>

وعند الحديث عن النقد التاريخي عند ابن حزم(384هـ-456هـ/994م-1064) لا بد ان نقول ان منهجه التاريخي في نقد التوراة اليهودية مستمد في كثير من عناصره من مناهج علماء الحديث في نقد السند، فضلا عن انه يعد خطوة هامة في مجال تحليل المضمون، واستعان بمعارف متنوعة من علوم مساعدة كالتاريخ والجغرافية ومنافع العمران والرياضيات، وفي مجال التاريخ اعتمد قياس الماضي على الحاضر، ويعد تطبيقه لمنهج نقد النصوص تطبيقا صحيحا وسليما. وتوصل الى قناعة من خلال الادلة التي توصل اليها ان التوراة الموجودة بأيدي اليهود ليست هي التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى عليه السلام.<sup>2</sup> وبالتالي فان حاجة المؤرخ الناقد الى علوم مساعدة

<sup>1</sup> المصدر نفسه، هـ، 16-18.

<sup>2</sup> حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم.. نموذج من نقد توراة اليهود، 633.

تؤهله لممارسة النقد التاريخي بشكل صحيح، فضلا عن القراءة التي توصل اليها في نقده للتوراة بانها ليست التوراة التي انزلها الله سبحانه وتعالى، تعد وصفا مهما دقيقا. ويظهر النقد التاريخي عند المؤرخ مسكويه ت 421هـ-1030 م في كتابه تجارب الامم، اذ شكل العنصر الاساس والمهم في تقويم منهجه، وهو يرى ضرورة الاستفادة من التاريخ وتجاربه، اذ اخضع الاخبار التي تناولها للنقد التاريخي، وقارن بين الروايات وصحح بعضها.<sup>1</sup>

اما ابن الجوزي (510هـ-597هـ) فقد كان على اطلاع واسع بالتاريخ ومعرفة مفصلة بكثير من فتراته، وله كتابات في مجال نقد الاخبار والحوادث التاريخية اثارت اهتمام واعجاب المتابعين، فقد حث الفقهاء على معرفة التاريخ، لأنه يدرك ان الاخطاء التاريخية والجهل بالتاريخ يوقع الفقهاء بمشاكل وقراءات مخطوءة، وذكرهم بشواهد ومواقف تاريخية عرضها للنقد والفحص. وركز ابن الجوزي على الاسناد فيبين انه ملئ بالمجروحين المطعون فيهم، ثم اعتمد على الثابت في التاريخ في وصف الحدث التاريخي الذي استشهد به وقام بنقده، فضلا عن استعانته بعلم الانساب.<sup>2</sup>

ان نقد ابن الجوزي التاريخي يدل على انه يتمتع بعقلية المؤرخ المحدث الناقد، فانتقد اي سند لا يعتد به او يتعارض مع الثابت من التاريخ ومع الشرع والعقل. وذلك ليس كثير على ابن الجوزي، الذي برز في كثير من العلوم وجمع المصنفات الكبار ولديه نحو من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحو الفي مجلد وله في علوم التفسير

<sup>1</sup> شمخي يابر عويد، فاضل جابر ضاحي، المصدر السابق، 336.

<sup>2</sup> زينب بو خلخال، غنية العقلي، منهج النقد التاريخي لعبدالرحمن ابن الجوزي 597/510 هـ 1201/1116 م من خلال مؤلفاته التاريخية، رسالة ماجستير، جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدينة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2015-2016، 92.

والحديث والتاريخ والنظر بالنجوم اليد الطولى ويمتلك فصاحة وعضوبة الكلام.<sup>1</sup> ما نستخلصه من منهج ابن الجوزي في التاريخ هو اهتمامه وتركيزه على ان يمتلك المؤرخ المعرفة التاريخية وان يتمتع بعقلية الناقد، فضلا عن انه اهتم كثيرا بالسند ويرى اهمية التدقيق فيه، واعتمد الاحداث الثابتة غير المشكوك فيها.

فضلا عن ذلك ظهر النقد التاريخي عند ابن الاثير (ت 630هـ-1232م) في كتابه الكامل، اذ اقتصر في تاريخه على المصادر الموثقة لديه، وكان حريصا على استخدام النقد في تاريخه، وانتقد بعض المصادر ومنها انتقاده للطبري.<sup>2</sup>

وتميز ابن كثير (700هـ-774هـ) في البداية والنهاية بين المؤرخين بالحس النقدي المتميز والروح التحليلية، فكان ناقدا للأخبار معتمدا نهج الجرح والتعديل، وانتقد الأحاديث من خلال محاكمة روايات اخبار التاريخ واستخدم العقل والثوابت في الحوادث التاريخية.<sup>3</sup> ويرى بان الاخبار الماضية لا تصلح ولا يعتمد عليها، الا بعد التحقق من صحتها. ولا بد ان يكون للنقد اساس علمي ولا يكفي بالظن والتخمين. فالنقد هو اداة المؤرخ لمعرفة صحة وصدق الخبر والنص الذي بين يديه للتأكد من صحته ومصداقيته، فهو فن دراسة الرواة والمرويات لتمييز جيدها من رديها.<sup>4</sup>

وابو الفدا ( 732م-1331م) في نقد للتوراة بنسخها الثلاث السامرية والعبرانية واليونانية، قام باجراء مقارنة بينهما، وانتقد النسختين السامرية والعبرانية للأخطاء

<sup>1</sup> زينب بو خلخال، غنية العقلي، المصدر السابق، 95.

<sup>2</sup> شمخي يابر عويد، فاضل جابر ضاحي، المصدر السابق، 336.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 337.

<sup>4</sup> ميرا اكبر شاه، سيد نعيم بادشاه، حول استخدام النقد التاريخي في دراسة السنة عند المستشرقين، مجلة تهذيب الافكار، المجلد 5 العدد 1، يناير يونيو 2018، 193.

التاريخية التي تضمنتها، واعتمد على النسخة اليونانية للتوراة، وبالتالي فإن المقارنة وتدقيق المعلومات فإنه اعتمد منهج علمي مشابه للمناهج العلمية الحديثة.<sup>1</sup> و ابو الفدا لم يكتف بالنقد لمؤرخي ما قبل الاسلام، وانتقاده للتواريخ والاطباء الجسسية التي وقعوا فيها، بل وضع جدول للتواريخ المشهورة من هبوط ادم عليه السلام حتى الهجرة النبوية، ويعد اول مؤرخ اتبع اسلوب جدولة الاحداث التاريخية.

كان المنهج النقدي الذي يركز على صحة السند، دون ان يكون هناك تحليل وتحليل للحقائق التاريخية، دفع الكثير من المؤرخين الوقوع في الاخطاء، الا ان ابو الفدا من الذين ساهموا بتطوير منهج البحث التاريخي واعتماد النقد التاريخي، اذ يوصف بأنه من النقاد البارعين، لأنه اعتمد منهجا علميا اتسم بالموضوعية والاعتدال ونقد الروايات والمعلومات وتصحيح بعضها، ولديه قدرة عالية في النقد وقوة الملاحظة وقدم نموذج في النقد من خلال المقارنة والتدقيق . ويعد الذهبي (المتوفي 748هـ- 1347م) مدرسة متفردة في النقد التاريخي، اذ تبني اسلوب الجرح والتعديل ونال شهرة كبيرة جدا وجرأة نادرة فيه، واتسم منهجه النقدي بالشمولية والعموم، فانتقد الرجال والعلماء والمصادر والعلوم بمختلف مناهجها. وقد تنوعت اساليبه في النقد فانتقد السند والمتن.<sup>2</sup>

## ابن خلدون

سبق ابن خلدون الكثير من فلاسفة التاريخ والنقاد في مجال التاريخ، اذ تقوم نظريته في النقد على الشك في المعرفة التاريخية القديمة وفي منهج المؤرخين المسلمين الذي

<sup>1</sup> شمخي يابر عويد، فاضل جابر ضاحي، المصدر السابق، 326.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 337.

كان يعتمد على الرواية والنقل، دون النقد والتفسير والتعليل، ويرى انه لا يكفي في التاريخ مجرد الرواية، بل لابد من النقد، فهو يحاول التركيب والربط بين مهمة الناقد ومهمة المؤرخ.<sup>1</sup>

وفي خطوة مهمة من خطوات النقد التاريخي التي يقوم بها المؤرخ هي تحري النص والمجيء باللفظ، فقد حدد ابن خلدون قواعد البحث في التاريخ، ولان التاريخ علم في تحريه عن الحقيقة، وعلم يطلب الحقيقة، لذلك فان صلة المؤرخ الوحيدة بحوادث الماضي والاصول التاريخية تأتي من تحري النص.<sup>2</sup>

وعلم التاريخ لدى ابن خلدون يقوم على الفكر الدقيق والبحث العميق، وهو مهم لكل من يفكر في شؤون المجتمعات الانسانية، والتاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم، والانبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم، وبالتالي فان ابن خلدون انتقد ممن سبقوه في انهم ضلوا عن الحق وتاهوا النقل لانهم اعتمدوا مجرد النقل للوقائع والحكايات، ولم يعرضوها للنقد.<sup>3</sup>

وضع ابن خلدون الاسس والقواعد الاساسية للنقد الخارجي والتي سار عليها جل المؤرخين الاوربيين في عصر النهضة، وبموجبها تأسست المدارس النقدية في الفترة المعاصرة، وتنطلق نظريته من مبدا الشك في الخبر والواقعة التاريخية وتقوم على النقد، والتفسير والتعليل والتركيب.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حياة تابتي، المصدر السابق، 11.

<sup>2</sup> حياة تابتي، المصدر السابق، 11.

<sup>3</sup> منصوره قدور، المصدر السابق، 522.

<sup>4</sup> منصوره قدور، المصدر السابق، 522.

وتعرض الفكر التاريخي عند ابن خلدون للنقد، إذ يعتمد في كتابته التاريخية على قانون يحكمه في قبول هذه الرواية أو الخبر أو رفضها وهو عدالة الصحابي، ورفض النيل من صحابي عرف بصحته للرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا القانون مخالف لطبائع ووقائع الاحداث، فضلا عن ان فكره التاريخي كان محكوم بنظرية العصبية، إذ يجعل العرب في قريش، والغلبة في قريش لبني امية، وفسر نجاح معاوية في مواجهة علي بن ابي طالب عليه السلام، بان جيش معاوية هم جند الشام من قريش ولهم عصبية اشد واقوى من جند علي بن ابي طالب وهم من كافة القبائل من ربيعة واليمن، ويقول انه عندما نسي الناس امر النبوة والمعجزات، ظلت الشام متمسكة بعصبيتها القبلية.<sup>1</sup>

والنقد التاريخي عند ابن خلدون الذي ورد في مقدمته، بالقول ان التاريخ له ظاهر وباطن، فظاهرة لا يزيد عن اخبار عن الايام والدول، واما باطنه فهو نظر وتحليل وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها.<sup>2</sup> فضلا عن الجرح والتعديل فان الشرط الاساسي في المؤرخ عند ابن خلدون هو المعرفة الواسعة بقواعد السياسة وطباع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال، والتضلع بعد ذلك بقياس الاخبار على اشباهها.<sup>3</sup>

خلاصة النقد التاريخي  
شروط ومعايير المؤرخ الناقد

<sup>1</sup> صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط/، بيروت 2008، 247.

<sup>2</sup> صائب عبد الحميد، المصدر السابق، 249.

<sup>3</sup> صائب عبد الحميد، المصدر السابق، 253.

لكي يرتقي المؤرخ الى مستوى المؤرخ الناقد عليه ان يمتلك معرفة وتعليم وثقافة واسعة، وان يكون ملماً بمعرفة العلوم المساعدة، فالجغرافية والانساب والادب واللغة والقانون والعلوم الانسانية الاخرى تمنحه قدرة أكبر للوصول الى الحقيقة التاريخية، اذ ان الجهل بالتاريخ والعلوم المساعدة تدفع المؤرخ الى الوقوع بالخطأ وتكذب الحقيقة. والمؤرخ الناقد يمتلك مواصفات شخصية تؤهله لاداء مهام الناقد التاريخي بان يتسم بال موضوعية والاعتدال والمهنية والحيادية للوصول الى الاحكام والنتائج، ومن خلال ثقافته وتربيته واعداده العلمي، فان المؤرخ الناقد يمتلك قوة الملاحظة والقدرة على اكتشاف القوانين وفهم الحدث وما يرتبط به من معطيات ومؤثرات.

### تعريف النقد التاريخي

انطلاقاً من المفهوم اللغوي لمفردة النقد التي تعني نقد الدراهم واخراج المزيف منها، او اصطلاحاً دراسة الاعمال والكشف عما فيها من جوانب قوة او ضعف او جمال او قبح، وامتداداً لمفهوم الجرح والتعديل الذي اعتمده الرواة والمؤرخون لضبط اسناد الاحاديث النبوية ومعرفة رواياتها، ومعرفة راوي والتأكد من صحة وصدق روايته. فالجرح يهتم برد الرواية لسبب او علة او فساد في الراي، في حين ان التعديل يهتم بوصف الراوي وما يتصف به من امانة وصدق وما يمتلكه من فهم. وبالتالي فان عناصر مشتركة في هذه الرؤيا تؤكد ضرورة اخراج الزيف للوصول الى الحقيقة من خلال امرين مهمين اولهما الراوي والمصدر والسند والتأكد من صلاحيته وصدقه، وثانيهما الرواية او الخبر وبيان هل يقبله العقل والمنطق وهل يمتلك المصدقية. وبالتالي يمكن تعريف النقد التاريخي بانه منهج اساسي وضروري وهو عملية فكرية يعتمدها المؤرخ من خلال فحص وتدقيق النصوص ومعرفة المؤلف وبيان صدقه،

وهو عملية تحليل لمضمون النص ومقارنة النصوص ودراستها وفق تسلسلها التاريخي الموضوعي بهدف كشف الزيف وابعاده والوصول الى الحقيقة.

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

أ.د رضوان باتو/ المغرب

استأثرت قضية الحقيقة التاريخية اهتمام الباحثين من مختلف الحقول المعرفية، وشكلت في الوقت نفسه، محاولة للإجابة عن القلق الذي راود الإنسان الصانع للأحداث والمخترع للرموز والمتفاعل مع محيطه والمبدع لطاقته، والمنتج لحاجاته وفق قدراته، وضمن هذه الوضعية المتحولة تحمل الباحثون مهمة بمناهجهم العلمية الخاصة الحفر عن الحقيقة العلمية، وبدوره أخذ المؤرخ على عاتقه مسؤولية النباش في الحدث التاريخي لبناء معرفة موضوعية، فهل يمكن الحديث عن امكانية بلوغ حقيقة تاريخية نظير مثلتها في العلوم الحقة ؟

كلا هذا ليس همنا، لأن موضوع مقالتنا يتضمن انشغالنا بمسألة التخلف التاريخي لواقعنا العربي بوصفه يمثل حقيقة تاريخية راهنية، لذلك يُورقنا وضعه الهش رغم تاريخه الكبير وقدراته الغنية وطاقاته البشرية الذكية الخلاقة، وتدفعنا هذه الوضعية التاريخية إلى تشخيصها، لعل ذلك يساعدنا على تعرية الواقع المتقهقر للكشف عن حقيقة حاضرنا، إنه الواقع الحاضر. وأثناء فحصنا لاجتهادات المؤرخين والمفكرين الذين تناولوا هذا الموضوع منذ ما ينيف قرن من الزمن، واجهتنا اعتراضات، من قبيل: أن طائفة ترفض بالجملة والمطلق الحديث عن وجود حقيقة تاريخية، لذا اعتبروا البحث عنها ضرب من الخيال العلمي، لأنها تفتقد إلى الموضوعية

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

<sup>1</sup>، والعلة في ذلك بحسب هذا التصور؛ أن البحث عن الحقيقة العلمية في مجال التاريخ ليست من صنع المؤرخ التي تظل مجرد حلم نبيل<sup>2</sup> واعتقاد خاص بشخصه، فهو يُبيح بالأحلام والذكريات الموهومة<sup>3</sup>، لأن الحدث التاريخي هو نتيجة تفاعل مجموعة من الأبعاد المركبة. فضلا أنه لا يمكن دراسة الوقائع التاريخية بشكل علمي قياسا على معايير موضوعات العلوم الدقيقة، وبالتالي يتعذر كتابة التاريخ بطريقة علمية على غرار العلوم الطبيعية<sup>4</sup> والحجة في ذلك، أن موضوعات التاريخ ملطخة بالمزايدات التاريخية، كما أنها تُعج بالتأويلات التي لا تنتهي والمتضمنة أيضا لأشكال الخيال المتباين. ووفقا لهذا التصور يستعصي بلوغ حقيقة كونية. وعليه اعتبر البحث عنها من عمل الفيلسوف الذي يغرق في التجريد ويبني تصورا مثاليا، وبالتالي فلا شأن للمؤرخ في أن يسعى إليها؛ لأنها وهما وتضيعا للوقت واجترارا للأسئلة الفلسفية العقيمة. وعلى النقيض من ذلك، هناك من اعتبر اجماع المؤرخين أثناء تقييمهم للأحداث التاريخية لقراءتها يُعدُّ مؤشرا على التوافق عن حقيقة تاريخية ما<sup>5</sup>، وليس بالضرورة أن يتفقوا في تأويل جميع تفاصيل الأحداث، لأن منها الجوهرية، فضلا عن ما يترتب عنها من تفاعلات أخرى يصعب على المؤرخ الواحد بمناهجه الوحيد أن يلم بجميع الأحداث. وفي السياق نفسه، فما دامت الحقيقة التاريخية تختلف عن الحقيقة

<sup>1</sup> كلود ليفي سترواس، الفكر البري، ترجمة نظير الجاهل، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987، ص. 307 – 308.

<sup>2</sup> Charles A. Beard, *The Noble Dream*, in Friz Stem, ed, *The Varieties of History, From Voltaire to The Present*, London, Macmillan, 1970, pp. 315-328.

<sup>3</sup> Paul Valery, *Regarder sur Le monde Actuel*, éditions Gallimard, Paris France, p.40.

<sup>4</sup> Florence Descamps, *L'historien, L'archiviste et Le Magnétophone*, Paris, France, 2005, p.20.

<sup>5</sup> ألون مونسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص.69.

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

العلمية، لأن كلاهما مؤقتان، لكن ليس بنفس الطريقة، فإذا كان العلم سيظل إلى الأبد غير مكتمل، فالحقائق التاريخية التي تُعَدُّ مكتسبة، وهذا يعني أنها قابلة هي أيضا أن يعاد النظر فيها لتحقيق اكتشافات جديدة<sup>6</sup> والتي ستعد بداية لتنبأ عن نتائج أخرى، وهكذا دواليك.

وبعد هذا التقديم الذي أردنا منه توضيح إمكانية البحث عن الحقيقة التاريخية من عدمها، لا بد أن نُميز بين المفهومين الواردين لموضوع المقالة العلمية، ونعني بذلك النقد التاريخي والحقيقة التاريخية. فماذا يُراد بالنقد التاريخي؟ وما المقصود بالحقيقة التاريخية؟ وما العلاقة بينهما؟

أما على المستوى المنهجي، سنستعين بالمقاربات التاريخية والتصورات الفلسفية، كما سنتكئ أيضا على أسس النظرية لبعض العلوم الانسانية الأخرى على اعتبار أن التاريخ هو الأساس لهذه المرجعيات التي تتقاطع معارفها، مما يُجتم علينا استحضار أشكال الحقيقة في مجالات معرفية متنوعة: كالتاريخ السياسي أو تاريخ الأديان أو الاقتصاد. أما الإشكال الذي سننطلق منه، فيمكن أن نختزله على الشكل التالي، ونقدّمه على شكل فرضيات مفتوحة للنقاش العلمي ونسائل كإشكال مركزي عن أي حقيقة يبحث المؤرخ؟ وهل هاجسه هو الحقيقة؟

يترتب عن هذا الإشكال الرئيسي إشكالات ثانوية، نَعُدُّها في نظرنا بوابة لفهم إشكالية علاقة الحقيقة التاريخية بالتأخر التاريخي، لذا صُغنا إشكالات صغرى على الشكل التالي:

---

<sup>6</sup> Paul Veyne, *comment on écrit l'histoire, Essai D'épistémologie*. Seuil, Paris, France, pp.310 /311

1- هل يصمد المؤرخ ويتحدى الخوف من السلطة السياسية ونظرة الجمهور أثناء تبيان الحقيقة التاريخية ؟ بمعنى هل الكشف عنها يضر السلطة الحاكمة وكل من يدور في فلكها ؟ ألا يُشكل هذا السؤال حرجا للسياسي الداهية والحاكم المتسلط المستبد ؟

2 - ما القيمة الحقوقية والسياسية والأخلاقية والمجتمعية التي يمكن أن يُضيفها النقد التاريخي للتنبأ بالحقيقة التاريخية ؟ وهل سيسهم هذا النقد في تحرير الإنسان من طاغوت الاستبداد والتخلف ؟

3 - وهل المؤرخ وحده كفيل للبحث عن الحقيقة التاريخية ؟ وألا يجدر بنا أن نفتح على حقول معرفية أخرى تناولت موضوع مقالنا، أي التخلف التاريخي، واقترحت حلولاً لتجاوزه مستقبلاً ؟

وبعد أن حددنا الفرضيات التي سنحاول الإجابة عنها لعنا نجيب عن الأسئلة المفترضة والرئيسية، ارتأينا أن نُحدد أولاً معنى الحقيقة التاريخية، فما المقصود بها ؟

### الحقيقة التاريخية بين الوجود والعدم

لا ننكر أن الحقيقة التاريخية في جوهرها تُعدُّ مشكلاً من قبل الفئة التي تسعى دائماً إلى ابقاء الوضع كما هو؛ لكي تستفيد من سداجة العوام، لهذا يعتبر البحث عنها ثورة في الكتابة التاريخية. وفي هذا السياق، إذا كان النقد التاريخي يسعى لإيجاد التأويلات الممكنة للوقائع التاريخية من خلال المادة الخبرية التي يتم استخراجها من المصادر والمخطوطات والوثائق بمفهومها الواسع، لكن اليوم الانترنت تمد الباحث بالآلاف المعلومات، وبالتالي فالحديث عن الحقيقة التاريخية بعيدة المنال، ومن هذا

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

المنطلق اقترحنا حقيقة تاريخية لوضعية بشرية توسم بالتخلف، وهي الوضعية التاريخية الراهنة للشعوب العربية، الشيء الذي فرض علينا التفكير في الإسهام لتشخيص واقعنا العربي، لعل ذلك، قد يُساعد على فهم هذا الحاضر المتخلف واستدراكه فيما بعد، على اعتبار أن لا وجود لوضعية بشرية مُستقرة وثابتة نهائياً، لأن التاريخ في حركة دائمة، على أن هذا التفوق التنظيمي أو السبق التاريخي على المستويات الاقتصادية والسياسية والتقنية الذي نؤمن به لا يحصل آناً بل عبر مراحل وضرورة تاريخية مستمرة تظهر نتائجها بعد طول من الزمن، وهو ما يعرف بالهضبة المأمولة. لكن ما يجب أن أؤكد عليه أن النقد التاريخي بخلفياته النظرية ممكن أن يسهم في دراسة ماضي الإنسان وحاضره، وأن يبلغ حقيقة تاريخية من خلال الاستناد إلى مضامين التأويلات التي تكون أقرب إلى الصواب والحكمة، ومع ذلك فهي في واقع الأمر نسبية، لكن النسبية هنا بالنسبة إلينا تعني تحقيق تراكم تاريخي والاستفادة من أخطاء الماضي وفتح الآفاق لمزيد من البحث المتواصل، وعدم التسليم بالاستبداد العلمي الذي يدعي أصحابه بالطلق والكونية، والتقليل من هول تأويل الإيديولوجيات لعل ذلك قد يُسهم في تجاوز حاضرننا الحزين.

وإذا استطاع النقد التاريخي، أن يجيب على هذا السؤال المركزي لوجودنا التاريخي، من نحن وما اسهامنا في الحاضرة الانسانية اليوم ؟ نكون قد وضعنا اليد على امكانية تجاوز التأخر التاريخي لنعانق التقدم، ونبني حضارة كما بناها أسلفنا لا أن نجتز أطروحات غربية سابقة أو نسير على خطى الأمم المتطورة، لأن لكل أمة سياقها التاريخي وقيمتها المجتمعية؛ بمعنى آخر، أن النقد التاريخي ليس مُوجه لشخص الحاكم العربي أو نسعى به إلى التميز بين الوثيقة الصحيحة والوثيقة المزورة، إن النقد موجه بالأساس إلى الوضعية التاريخية للعالم العربي الموسومة بالتأخر التاريخي،

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

والبحت عن كيفية السبيل إلى تغيير مساره التاريخي إلى الأفضل وليس اجترار تصورات نظرية بعيدة المنشأ عن هويتنا ومرجعياتنا التاريخية والثقافية.

يسعى إذا، النقد التاريخي للوضعية التاريخية إلى الكشف عن أسباب التأخر التاريخي في أفق استدراكه مستقبلا، وليس وظيفة المؤرخ أن يبحث عن ظروف أو حقيقة اغتيال هذا القائد السياسي أو ذاك بالقول مثلا: هل مات مسموما أو دُس له السم أم قُتل غدرا أو تُوفي في ساحة الوعى، لأن سؤال الوفاة أو ظروف الموت لا قيمة له اضافة لفهم تاريخ التخلف والعنف السياسي، بل إن مهمة المؤرخ أن يجتهد للإجابة على وضعية التأخر التاريخي ليجيب عن هذا الإشكال، والمتمثل في الخطط والاستراتيجيات المقترحة لتجاوز الوضعية الراكدة التي تتسم بها المجتمعات العربية، وذلك جانب من الحقيقة التاريخية الراهنة، لأن التفهقر واقع ملموس لا يحتاج النباش في المصادر التاريخية بكل أطرافها وتنقيتها أو غرابة الوثائق والتحقق من هويتها والتمييز بين الحقيقي منها والمزور أو المدلس.

إذا، المطلوب من النقد التاريخي اليوم، والذي يعد ثمرة فلسفية<sup>7</sup> ليس البحث عن الحقيقة أو الانفتاح على تنوع المناهج العلمية، إنما محاولة لتشخيص الواقع العربي المهترئ والبئيس والموصوف بالتخلف، وتقديم اسهامات للإجابة عن مختلف الإشكالات ذات الطبيعية الثنائية: من قبيل التخلف/ التنمية، والديمقراطية/ الاستبداد، محاولة تتوسل النقد أداة وتجعل من المساءلة المستمرة منهجا للإجابة على الأسئلة المهمومة في وطننا العربي. فهل يمتلك المؤرخون وحدهم الحق في البحث عن الحقيقة التاريخية لاسيما أننا بيئنا الغاية منها ؟ إننا لا نريد بلوغ القوانين العلمية

<sup>77</sup> جوناثان هابر، التفكير النقدي، ترجمة ابراهيم سند أحمد، سلسلة المعارف الأساسية، مؤسسة هنداي، لندن، إنجلترا، 2017، ص.18،

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

لتفسير الحدث التاريخي، وإنما محاولة مقترحة للإجابة على إشكالية التأخر التاريخي والوقوف على أسبابه، وهل هناك إمكانية الخروج منه ؟

وبعد بيّنا الغاية من النقد التاريخي، فإننا مُلزمين بإيجاد خيطا ناظما بين هذين المفهومين؛ أي النقد التاريخي والحقيقة التاريخية، ومن ثمة لا نعني بها النبش في جرائم الطاغية السياسي لكي نُصنّفه ضمن الاستبداد المستنير، أو نُسقّه سلطة زمنية أو نُبيّن فساد حكومة أو نذكر مثالبها أو نفضح شطط سياسي أو نصّف مجريات حرب أو نعت معركة عسكرية أو نُقدم تصورا لمشاهد رهيبية أثناء انتفاضة شعبية، أو نذكر موجات الأوبئة والمجاعة. تلك الوضعيات ليست من هُومنا ضمن هذه المقالة العلمية. لهذا يُعدُّ البحث عن الحقيقة التاريخية طموحا وأملا ورجاء وليس رغبة في تملكها. وعليه، بإمكان المؤرخ أن يبلغ الحقيقة التاريخية شرط أن يُشارك الباحثين المغايرين توجهها من الحقل التاريخي نفسه، كما أنه مُلزم بالإنصات إلى باحثين من مختلف المعارف الإنسانية الأخرى، وعليه أيضا أن يتحرر من وهمه كونه وحده من دون سواه يمتلك حقيقة الواقعة التاريخية التي قيد الدرس والتي مازالت تنتظر البحث والتمحيص المستمر، ومن شأن هذا الاختيار أن يُقيّم أبحاثه باستمرار وبدون توقف عن منهج خاص، ويدفع بها إلى الكشف عن حجب الحقيقة. كما لا نقصد بالحقيقة التاريخية البحث عن الشروط التي أسهمت في ولادة حقد تاريخي أفضى إلى قتل الخلفاء المسلمين، لكن ما يهْمنا من تلك الأحداث التاريخية من التاريخ الإسلامي، هو التمزق السياسي الذي حل بالأمة الإسلامية واستمر تأثيره إلى اليوم بدون عقْد اجتماعي عربي<sup>8</sup> يرمم جراح السياسية، ويوقف تغول الحكام، ذاك جانب

<sup>8</sup> محمد عبد الجباري، في قد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2005، ص ص.

من الحقيقة التاريخية الذي يوحي في جوهره إلى التأخر التاريخي والسياسي والاقتصادي الذي تتسم به الأمة الإسلامية، فكيف الخلوص من هذه الوضعية التاريخية ؟

وأخيرا، لا نقصد بالحقيقة التاريخية اكتشاف قانون علمي أو ما تمّ التوصل إليه من مستجدات علمية شكلت نقلة نوعية في تاريخ العلوم، وُعدت من الفتوحات العلمية المنجزة، لكن ما يهمننا هو التأخر العلمي للأمة العربية، إنها الوضعية التي أملت علينا التفكير والتساؤل عن السبل للخروج من وضعية الجهل والتأخر العلمي والفكري الذي يوحي أننا أمة لا تقرأ. ولا يهمننا هنا في هذه المقالة أيضا قسوة، أو مُجون هذا الحاكم، أو ذاك القائد العسكري، أو عدل هذا الحاكم وتواضعه مع شعبه أو رعيته، لأنهم مجرد حالات في تاريخ البشرية، لذلك لا يُمكن أن ننسب أسباب التخلف لشخص الحاكم وحده، لأن التقدم يُدرك جماعة، ويشي إلى مسار شعب وذهنيته الجماعية<sup>9</sup>. ولا تهمنا أيضا الوقائع الصغيرة، مثل طقوس الدفن، لأن حرمة المقابر مباحة للمتشردين والمشعوذين، كما لا يهمننا تاريخ الألبسة وأنواعها، لأن الكثير منها تصنع خارج بلادنا، ولا يجذبنا أيضا مواضيع مدرسة التاريخ الجديد، كتاريخ النظافة التي تُوج باكتشاف دورة المياه، لأن مدننا العربية أكثر اتساح وبدون دورات مياه للعوام، كما ليس لنا نموذجا نقندي به، ونضعه عنوانا للتقليد والنسخ، لأنه لا وجود لمجتمع طوبوي، يعد بالنسبة إلينا مرجعا<sup>10</sup>، فهذا تصورا موفوض ولا وجود له أصلا، فضلا أننا واعون من نحن وماذا نريد وماهي طموحتنا. ولهذا لم يعد

<sup>9</sup> مصطفى حجازي، سيكولوجية التخلف مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط9، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص.31.

<sup>10</sup> إيف بينوت، ماهي التنمية، دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1985، ص.11.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

وقت نضيعه لكي نبدأ في البحث عن تاريخ واقع تخلف العالم العربي والإسلامي على جميع الأصعدة، لعله يمدُّنا بحقيقة هذا التعثر التاريخي الذي تُعاني منه بلادنا، ومن أجل هذا نوضح، أننا لا نعني بالحقيقة التاريخية جعل المصدر موثوقا به، طالما أن قراءة الأصول تُستخرج معانيها المتنوعة بحسب السند النظري أو القراءة الأيديولوجية للمادة التاريخية. لهذا نقصد بها؛ الوضعية الراهنة لبلاد العرب الموسومة بالتخلف المعاش، أي أن واقعها التاريخي الراهن راكد، لكن في نظرنا يُملي النقد التاريخي لهذه الوضعية المتقهقرة تشخيص بنية التأخر التاريخي، وفحص أسبابه بالاعتماد على كل المناهج العلمية: تاريخية وسيكولوجية، واقتصادية، وسياسية، واثربولوجية، وبمشاركة الباحثين كل بحسب تخصصه العلمي لعل هذه الغزارة المنهجية أن تُقدم علاجا أو تصورا لتجاوز وضعية الضعف التاريخي للعالم العربي، ذاك جانب من الحقيقة التاريخية التي يُنتظر أن يُجيب عليها كل مؤرخ يضع في حسبانته أن الحقيقة التاريخية لا تتوقف على هذه الوثيقة أو ذاك المصدر الموثوق به من عدمه، بل عليه أن يُكثف أبحاثه بلا انقطاع. لذا فهو ملزم أن تكون قراءته تلامس الواقع وليس أن يسترجع أحداثا ماضية في ذهنه ويُعيد بناءها وفق منهج علمي معين، وعليه فالكشف عن المُعضلات التي تُعرقل مسيرة التقدم يتم بواسطة النقد التاريخي المتعدد المشارب يُساعد لا محال على تبيان منهج العمل في المستقبل. لذا نعتقد أن الاعتماد على المرجعيات النظرية لتفسير وضعية الشلل التاريخي لواقعنا يُعدُّ بالنسبة إلينا جوهر الحقيقة التاريخية، حقيقة لا ندعي أنها ثابتة، بل متحولة باستمرار، لأن بنيتها التاريخية غير مستقرة ومتبدلة على الدوام، لكنها لا تمس إلا البنية السطحية للمجتمعات العربية، أو ما نسميه بالمكياج السياسي أو التنموي الذي

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

يتبناه الخطاب العربي الرسمي، وهذا يعني أن التخلف ليس قدرا تاريخيا نهائيا بل مرحلي.

ولمزيد من البيان نقول: إن أمانة المؤرخ ليس في أن يبني الأحداث أو الوقائع لكي يَصوغ معرفة تاريخية موضوعية بعد فحص الوثائق للكشف عن الحقيقة التاريخية كما يدعي، بل إن كتاباته تقتضي أن يُسهم في صناعة التاريخ ويجب قدر الإمكان على إشكالية أسباب التخلف التاريخي للعالم العربي والإسلامي، وأن يبحث في الآن نفسه عن أسباب التراكم التاريخي الحاصل في الغرب والغائب لدينا، وعليه نعتقد أن كل نقد تاريخي لوضعية تاريخية لا تشبه الأخرى، لأن بنية المجتمعات العربية مختلفة؛ وهذا يعني أن كل نقد لوضعية تاريخية ومجتمعية تحمل هوية صاحبها، وتعبّر عن انتماء الثقافي والتاريخي، ويُفصح عن خلفياته النظرية، ويدل أيضا عن معتقداته الايديولوجية، ومع ذلك، فكل نقد يُضيف اجتهادا لا يمكن نكرانه، مادامت آليات النقد التاريخي تتجدد باستمرار، ومن ثمة فلا حقيقة تاريخية بدون سلطة معرفية أو سياسية، ورؤية للمستقبل لترميم وإصلاح اعوجاجات الماضي وتقويم الحاضر لبناء المستقبل.

ثم إن الإجابة على هذا الإشكال، أي التأخر التاريخي لوضعية العالم العربي كحقيقة تاريخية آنية، لا يُمكن أن نعثر عليه في مصدر من المصادر التاريخية وحدها، ولا يمكن أيضا اختزاله في رأي أحادي أو تفسير معين، رغم أن هناك اجتهادات سابقة لمؤرخين ومفكرين وسياسيين واقتصاديين وسيكولوجيين تناولوا هذا الإشكال منذ ما يزيد عن قرن من الزمن، لأن التخلف بنيوي وإرث ماضوي مُركب، وعليه نعتقد أن تنوع المناهج العلمية وإقام الباحثين في مغامرة البحث، ذاك ما يُسمى الوعي التاريخي بالمرحلة الراهنة، كل ذلك يُعدُّ في نظرنا بوابة للتقدم، مما

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

يُفيد القدرة على استدراك التخلف التاريخي مستقبلا، ولن يتحقق هذا الطموح بالنسبة إلينا إلا إذا توفرت الإرادة السياسية للسلطة الحاكمة في الوطن العربي؛ وهذا مرهون بتخلي الدولة العربية طواعية عن مركزية القرار<sup>11</sup> وإشراك بشكل ديمقراطي ونزيه مكونات المجتمع المدني، مع احتفاظها بالقوة المستمدة من إرثها التاريخي ومرجعيتها الدينية، لأن بإمكان تلك الأسس العريقة على ما نعتقد أن يُساعدها كي تستفيد من تجارب الآخرين؛ فقرب المغرب مثلا من الجوار الأوروبي يمكن أن يجيب على هذا الإشكال، كما أن مُجاورة المشرق العربي من الدول الآسيوية التنينية التي وُفِّت في تغيير مسارها التاريخي بتحقيق تنمية بمفهومها الواسع، يمكن أن يُساعدنا عن الإجابة على هذه المعضلة أيضا، كما أن زواج السلطة السياسية الوطنية مع روح المثقفين والباحثين النزهاء أملا في التغيير، لتغذو وضعية التخلف متغيرة وواقعا جديدا أفضل بكثير من وضعية الانحطاط، لكن مسار التقدم يحتاج إلى صيرورة زمنية طويلة المدى، لأن التاريخ ليس له خط واحد وغير مُنته، وتحقيق الازدهار الذي يُعدُّ بالنسبة للكثير من أبناء الشعوب العربية حلما منتظرا، لذا لم يعد هناك شك في كون الأفكار يمكن أن تلعب دورا في تغيير حركية التاريخ<sup>12</sup>، لأن نقلها وتوظيف خبرات الآخرين يمكن أن يُغيّر مجرى التاريخ، وينقلنا من وضعية التأخر التاريخي إلى واقع أحسن بكثير، وليس في استيراد التقنيات أو جلب الأطر والكفاءات العلمية بل بالعمل على توطينها وغرسها في كل قطر عربي بدل هجرتها،

<sup>11</sup> Carl Schmitt, *La Notion de Politique*, Tr, Marie Louise Steinhäuser, éditions, Flammarion, Paris, France, 1992, p.85.

<sup>12</sup> ارنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة، مصر، 1997، ص.18.

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

إنها الكفاءات العلمية التي يستفيد منها الغرب. ولهذا اقترحنا وضعية التأخر التاريخي كحقيقة تاريخية راهنية ، مصدرها واقع نُعاينه ونعيش فيه وننتمي إليه تاريخا وثقافة، يُؤملنا ويُجزنا وضعه. لذا، لا نبحت عن المعنى الصحيح للواقعة التاريخية في وثيقة تاريخية ما، لأننا نؤمن بأن التجربة التاريخية غير مُمكنة، ومن ثمة نسعى إلى البحث عن الحقيقة الممكنة والمثلة في هذه المقالة، بتصحيح المسار التاريخي للشعوب العربية بنقلها من وضعية التخلف الذي نعده نتيجة تراكمات تاريخية ماضوية تنتمي إلى الحاضر المليء بالتناقضات. وعليه نقول أن المؤرخ لا يستطيع أثناء بحثه عن اشكالية التخلف التاريخي كحقيقة تاريخية راهنية والتي لها امتداد في الماضي أن يكذب حقيقة الحاضر، وهذا يعني، أن النقد التاريخي للوضعية الحالية تجد اجاباته في ترسبات وإرث الماضي.

وفي الأخير، لا نشك في مساهمة كل من السوسولوجيا والسيكولوجيا والاقتصاد والعلوم السياسية إلى جانب علم التاريخ في الكشف عن الحقيقة التاريخية لواقعنا العربي، نظرا لغنى مناهجهم العلمية، لأن الاجماع على منهج واحد يناقض طبيعة النشاط العلمي الأصيل الذي يتعين أن يبقى مفتوح الأفق<sup>13</sup>، وبالتالي فالتخلي عن ديكتاتورية المنهج الوحيد شرط يساعد الكشف عن جانب من الحقيقة التاريخية، ويمكن أن يسهم لا محال في الإجابة على موضوع الإشكال الراهن الذي تعيشه الأمة العربية، وهو ما نعني به كما قلنا سابقا بالتأخر التاريخي على اعتبار أن المؤرخ لا يمكن وحده الإلمام بالتفاصيل الدقيقة للحدث التاريخي. فالعجز عن إيجاد القوانين المفسرة للأهرامات المصرية مثلا، أو تفاصيل بناء حضارة بابل. فضلا عن

<sup>13</sup> مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص.196.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

غياب التدقيق في فهم تاريخ الهجرات أو تاريخ الأنساب والأعراق<sup>14</sup>، علاوة عن عدم الإلمام بتاريخ اختلاط الأجناس والذي لا يمكن للمؤرخ البيولوجي أن يُجسم في إشكالاتها. لذا كان التفكير أولا وأخيرا في حقيقة تاريخية مختلفة عن تلك التي يبحث عنها المؤرخون في تلك المجالات العلمية الأخرى دون أن ننفي أننا نبغي حقيقة تاريخية راهنية، والتي عبرنا عنها في صيغة السؤال التالي: هل بإمكان النقد التاريخي أن يكشف لنا عن أسباب تخلف واقعنا المعاصر كحقيقة تاريخية في أفق استدراكه فيما بعد، والسير بالأمة العربية والإسلامية نحو الاقلاع الاقتصادي الذي سيضمن الأمن الغذائي لشعوبها ويحررنا من التبعية تجاه الآخر، ويحقق انتقالا سياسيا سليما تخضع فيه السلطة السياسية لمبدأ التداول بطرائق ديمقراطية وليس بالضرورة أن نسير على غرار ما بلغته الدول الأوروبية من حروب داخلية وعنق سياسي كي نحقق التقدم على جميع الأصعدة، لأن مسار تاريخ الشعوب مختلف ومتشعب.

واختصارا نقول: إننا نعني بالحقيقة التاريخية الوعي بالمرحلة التاريخية الموسومة بالتأخر التاريخي، ونقدها يعني التفكير في هذه الوضعية قصد تجاوزها، إيماننا منا بالحمية التاريخية التي تقوم على التغير المستمر، لأن السكون والتخلف ليس قدرا علينا وإنما هو مرحلي بإمكان استدراكه مستقبلا حينما يُخطط له من قبل ذوي الإيرادات الحسنة. ولهذا نجد تأكيدنا أننا لا نسعى لدراسة حقيقة المخطوطات والنقوش المحفوظة على الأحجار والأوراق وألواح الطين، وتفسيرها وتحليلها وفق قوانين العلوم الوضعية التي تدرس المادة، لأن هذا الأمر غير ممكن أصلا، ومستبعد تماما، لأن الوثيقة لا تمدنا بكنه الأشياء، والباحث يتعذر عليه التمييز بين الوثيقة

<sup>14</sup>كلود ليفي ستروس، العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص ص 5-13.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

الأصلية والمزيفة بحكم أن المادة المخبرية التي يجمعها الباحث من الأرشيف لا يمكن الاستناد عليه مطلقا في بناء المعرفة التاريخية الموضوعية، لأننا نؤمن بأن الوثائق لا يمكن أن تُمدنا بالحقيقة التاريخية كما وقعت في الماضي مهما حرص المؤرخ الكشف عنها، ولكننا نرغب في إظهار دور المؤرخ في وضع أصدبه على جرح تخلف العالم العربي، بالنظر إلى أن هذا البيان يُمثل مدخلا لتعريف الحقيقة التاريخية التي يتصف بها واقع العالم العربي الموسم بالوهن عليه. فما هي معوقات البحث عن الحقيقة التاريخية ؟

### عوائق بلوغ الوثيقة كمصدر للحقيقة التاريخية

نقصد بالعوائق، العناصر التي تقف سدا منيعا ضد بلوغ الحقيقة التاريخية، إنها الجوانب التي ترتبط بالعوامل الموضوعية، وكمثال على ذلك تعترض الباحث موانع متعددة، من قبيل صعوبة الوصول إلى الأرشيف الرسمي، بحيث يلاقي عراقيل من جعلتها أن الدخول إلى الأرشيف يحتاج أحيانا إلى بعض شفاعات الوساطات أو إلى أمزجة القائمين عليها<sup>15</sup>، أما الحواجز الذاتية، فمتنوعة، فعلى سبيل التوضيح يتأثر المؤرخ بأصناف الأيديولوجيات، وقد ينساق أيضا وراء القيم والأفكار الثقافية السائدة في المجتمع أو تجاري تفاسيره أهواء السلطة الحاكمة. وفي هذا السياق، يصطدم المؤرخ أثناء قراءته للحدث التاريخي لاستخلاص الحقائق من التاريخ، بمعضلة التمييز بين الرواية الماثورة التي لها بريق بلاغي<sup>16</sup>؛ لأن لغة المؤرخ أساسية في

<sup>15</sup> فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، دار محمد علي للنشر، تونس صفاقس، 2012، ص.112.

<sup>16</sup> ارنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة، مصر، 1997، ص.20.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

عملية خلق المعنى<sup>17</sup>، بمعنى آخر، أن التاريخ بوصفه معرفة لم يتم اكتشافها، وإنما تم إنتاجها في اللغة ومن خلال النص التاريخي المستخرج من الوثائق، ومن ثمة فمن الممكن ألا تكون هناك حقيقة خالية الأفكار المسبقة، ومجردة من التفسيري الذي يقوم به المؤرخون<sup>18</sup>، وهذا يعني أن الحقيقة التاريخية تتأثر باللغة التي كُتبت بها وبحسب المدلول الزمني للكلمات والمفاهيم المنحوتة في عصرها<sup>19</sup>. فهل يعيق تأويل الحدث التاريخي إلى تعطيل الحقيقة ؟

### الحقيقة وتأويل الحدث التاريخي

إذا كان التفسير كعلم له قواعد ومنطقه الخاص، ففي مجال العلوم الإنسانية يحتمل الاعتراض<sup>20</sup> والتشكيك في خلاصاته واستنتاجاته رغم ما يستند عليه من اسناد ووثائق، وهو ما يفسر أن الحقيقة التاريخية الواقعية، صناعة إنشائية، ومبهمة ولا تنضب<sup>21</sup>، وهذا يعني أن المؤرخ غالبا ما يكون مختارا وسط مجموعة من التأويلات التي تبدو ظاهريا مستساغة، بحيث يبدل مجهودا لكي يبرهن أن تأويله متوافق مع الوثائق عمليا، ويعمل على إعادة بناء ما حدث في الماضي، محاولا التغلغل في وعي الفاعلين، لكي ينتقل إلى صناعة نموذج مؤولا مستخرج من الوثائق، إلا أن هذا

<sup>17</sup> ألون مونسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص.52.

<sup>18</sup> المصدر نفسه، ص.47.

<sup>19</sup> ديفيد كريستال، مختصر تاريخ اللغة، ترجمة أحمد الزبيدي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد العراق، 2018، ص. 190-219.

<sup>20</sup> François Furet, *De L'histoire-récit à L'histoire-problème, dans L'atelier de l'histoire*, éditions, Flammarion, Paris, France, 1982, p.73-90.

<sup>21</sup> بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009، ص. 496.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

التأويل يظل يشوبه اللبس<sup>22</sup>. وبما أن مسار التأويل متعدد ولا يتوقف عند هذا الاتجاه النظري أو ذاك، فإننا نستبعد بلوغ حقيقة تاريخية كما هي في الواقع أو مطابقتها مع الحادثة كما حصلت فعلا أو تم الإشارة إليها في المصادر التاريخية، لأن المؤرخ حين يفسر الأحداث التاريخية المبنية، ويربط الواحدة بالآخرى وفق مسار تاريخي معين، فهو في الواقع لا يفسرها كما حصلت، بل يقدم تأويلا لتلك الوقائع لا تفسيرا لها. وعلى مثل هذا الاعتقاد يعترف المؤرخون بتنوع الحقائق وبعدمية المعنى النهائي في التاريخ، ليظل مفتوحا أمام معاني كثيرة<sup>23</sup>، وهذا يعني أن الحديث عن وحدة الحقيقة لدى المؤرخين والباحثين يعد ضربا من الخيال طالما أن منطلقاتهم النظرية مختلفة رغم محاولتهم تجميد نزواتهم الذاتية، لكن هذا لا يمنع من القول، أن تنوع القراءات للوقائع التاريخية يسهم في اغناء مسار البحث التاريخي لا في تعييده، لأن نواميس التأويل تتغير في التاريخ وفي غيره<sup>24</sup> باستمرار، وهو ما يُفسر أن كل مؤرخ جديد، لا يقنع بتقديم إجابات جديدة عن أسئلة قديمة، إذ لا بد أن يُراجع الأسئلة نفسها على الدوام، وبما أن الفكر التاريخي نهر لا يمكن لأحد أن ينزله مرتين<sup>25</sup>، فإن المؤرخ نفسه الذي يعمل في موضوع واحد لمدة زمنية معينة، يجد السؤال القديم الذي قام بمراجعته قد تغير<sup>26</sup>، مما يفيد أن المؤرخ الملتزم الغير المؤدج

<sup>22</sup> Rymon Aron, *Introduction à La Philosophie de L'Histoire*, éditions, Gallimard, Paris, 1939, pp.338-339.

<sup>23</sup> ألون مونسلو، المصدر السابق، ص.47.

<sup>24</sup> عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص.322.

<sup>25</sup> يوسف كرم، الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، القاهرة، ص.30.

<sup>26</sup> جون لويس غاديس، المشهد التاريخي كيف يرسم المؤرخون خارطة الماضي، ترجمة شكري مجاهد، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة قطر، 2016، ص.122.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

يواجه محنة تأويل الوثائق الرسمية، كما يجد نفسه في مواجهة لعبة المعاني المستخرجة من تلك المادة التاريخية من قبل مؤرخين وباحثين قدماء أو معاصرين، لهذا يحتمل النص التاريخي أكثر من قراءة، أو بعبارة أخرى، أن المادة التاريخية المستخرجة من الوثائق هي حصيلة لما لا ينتهي من الظروف والحيثيات والانفعالات والتصورات والمفردات التي كانت تتجمع وتتراكم أو تعتمل وتتفاعل، لكي تُسهم في إنتاجه وانفجاره، ليضحى له معنى من الفهم والقبول أو الرفض من الآخرين. من هنا فالحدث الهام، كالحرب مثلا، يتعدى صانعيه بمفاعيله وأصدائه وممكناته، بقدر ما يرتد عليهم لكي يُشكل فرصة أو يفتح أفقا أمام ضحاياه، وهذا هو مكر التاريخ وانتقام الوقائع.<sup>27</sup>

### الوثيقة التاريخية والحقيقة

حري بنا التنبيه إلى أن، الحقيقة تندرج ضمن الإنجازات<sup>28</sup> التي يسعى إليها المؤرخ، وليست واقعا تحقق منه أو كان شاهدا عليه، إلا أن هذا لا ينقص من الطموح العلمي للمؤرخ شيئا، بل إن التخلي عن السعي وراء الحقيقة، باعتبارها هدفا في الدراسات التاريخية، قد يطمر الإصرار على معايير النقد التاريخي<sup>29</sup> التي يصعب الحديث عن كونيتها، وفي هذا السياق، إذا كان المؤرخون الوضعيون يبحثون عن الحقيقة التاريخية التي تُعد لدى منتقديهم نوعا من السراب في مخيلة المؤرخ الوضعي<sup>30</sup>، بمعنى أن الحقائق التاريخية موجودة في الحاضر وفي عقل المؤرخ

<sup>27</sup> علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التشكيكية، المركز العربي للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص.23.

<sup>28</sup> Paul Ricœur, *Vérité et mensonge, in histoire et vérité*, éditions seuil, Paris, 1964, p. 190.

<sup>29</sup> ألون مونسلو، المصدر السابق، ص.60.

<sup>30</sup> قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب، مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2013، ص. 23.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

لا في الماضي<sup>31</sup>، فإن الاعتقاد السائد بوجود حقائق تاريخية بشكل موضوعي ومستقل عن تأويل المؤرخ هو اعتقاد خاطئ ومناف للمنطق<sup>32</sup>، لأن المادة التاريخية المستخلصة من الوثائق تظل خرساء ما لم يتم استنطاقها<sup>33</sup>، فضلا أنها لا تمثل الواقع، كما تتعرض لتلف الذي قد يُصيب البعض منها، كما يشوبها أيضا تزوير مقصود كالتدليس أو غرض النظر عن بعض الحقائق أو الإغفال عن ذكرها خدمة لمصالح معينة سياسية كانت أو غيرها، كما تتأثر تلك الوقائع بالانحياز الأيديولوجي لإرضاء ميولات شخصية عقائدية أو مذهبية فيصبح التاريخ آنذاك مسكونا برؤية المؤرخ وبما تمليه عليه نزعاته وأهواؤه<sup>34</sup>، وهذا ما جعل الالتصاق بالوثيقة التاريخية يُعدُّ صنما وهوسا والسقوط في وهاد فيتيشية Fetichisme الوثيقة المكتوبة<sup>35</sup> التي لا يمكن أن نعتد بها، لأنها غير كافية، نظرا لوجود مصادر أخرى كثيرة لا يمكن أن توفر للمؤرخ مادة دسمة لعلمه<sup>36</sup>، تفيد هذه الأدلة ضرورة الانفتاح على المدارس التاريخية الفكرية التي توسعت في مفهوم الوثيقة التاريخية التي قاربت الموضوعية التاريخية بطرائق مختلفة، وتعد شهادة الأفراد أو الجماعات أحد العناصر المكملة للبحث عن الحقيقة التاريخية، فما دورها في هذا السياق؟

<sup>31</sup> Charles A.Beard, **Written History as an Act of Faith**, in, Meyrhooff, pp.141-151

<sup>32</sup>قيس ماضي فرو، المصدر السابق، ص. 24

<sup>33</sup> Mostafa Hassani Idrissi, **Pensée Historienne et Apprentissage de L'histoire**,

éditions, L'Harmattan, Paris, France, 2005, p.110.

<sup>34</sup> فريد بن سليمان، مدخل للدراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص ص. 15. 16.

<sup>35</sup> الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 2013، ص. 93.

<sup>36</sup> المصدر نفسه، ص. 93.

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

## الشهادة التاريخية والحقيقة

وإذا كان الوضعيون قد اتخذوا من الوثيقة أساس لبلوغ الحقيقة التاريخية، وهو ما جعلنا نتساءل عن دور الرواية الشفاهية في صناعتها ؟ وبقول آخر، هل يمكن لشهادات الأفراد أن تسهم في التنقيب عن الموضوعية التاريخية ؟

باستحضارنا لرافضي هذا المصدر في الكتابة التاريخية، الذي يُحاجج تصوره بقوله: أن شاهد عيان يُحاول فرض رأيه وأحكامه على أحداث عاشها أو شارك فيها شخصيا أو سمع عنها، كل ذلك بالاعتماد على الذاكرة التي قد تخونه أحيانا، وبالتالي يريد تبليغ ذلك إلى الغير، أي إلى المؤرخ والقارئ، وعند ذلك، تُصبح الشهادة خطأ متماسكا<sup>37</sup>، مما يعني أن الشهادات الشفوية لشهود عيان كثيرا ما تتضمن مخاطر قد تؤثر سلبا على مسار البحث التاريخي. وبعبارة أخرى، أنّ العين الشاهدة لا تلتقط دائما الموضوعي والحقيقي، بل تضيف إليه شيئا من هوى النظرة<sup>38</sup> الذاتية للشخص الذي عين الحدث، وانطلاقا من هذا الموقف الدفاعي والحجائي، يمكن أن نؤكد أنه لا يمكن للمؤرخ أن يطمح أو يصبو إلى الحقيقة التاريخية بالاعتماد على المنطق الذاكراتي<sup>39</sup>، والعلة في ذلك على ما نعتقد، أن الذاكرة يبتلعها النسيان خصوصا مع

37 فريد بن سليمان، مدخل لدراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص. 121.

38 محمد مزبان، المعرفة التاريخية بين ذاكرة الأُم وتحقيق المصالحة المجتمعية، تجربة المغرب نموذجاً، مجلة أسطور، ع، مركز بحوث دراسة السياسات، الدوحة، قطر، ص. 101.

39 فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، دار محمد علي للنشر، تونس صفاقس، 2012، ص. 100. فلا عن

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

تقدم السن، بحيث يتعرض صاحبها إلى المرض، كما أنها تصاب بالخرق<sup>40</sup>. بمعنى آخر، أن الذاكرة التاريخية لا تعكس بالضرورة "الحقائق التاريخية"، لأن اختيار كيفية تذكّر الماضي ينطوي على أحكام قيمة، الأمر الذي يُعرضها للتلاعب السياسي، إما لتعزيز التزييف، وإما للتفسير الخاطئ المتعمد للتاريخ<sup>41</sup>. وهو ما يفسر، أن الواقعة التاريخية مفتوحة على الاحتمالات والمفاجئات، وبالتالي لا تقرأ على نحو أحادي الدلالة والوجهة<sup>42</sup>، بمعنى أن الحدث التاريخي لا يحتمل تفسير واحد بل هو منفتح على عدة قراءات وتأويلات لا نهائية لها. وعلى نقيض من ذلك تختزل الرواية الشفاهية مجموعة من المعطيات تتناول الجانب المسكوت عنه من قبل الرواية الرسمية، كما تُمثل في الوقت نفسه صوت الهامش والمهمش والذي يتم تجاهله في الخطاب الرسمي. فهل تتأثر الحقيقة التاريخية بالقيم السائدة في المجتمع ؟

### قيم المجتمع والحقيقة التاريخية

لاشك أن كل مجتمع أنتج قيما معينة، قد تكون مستحدثة أو موروثة ثقافيا فانغرس مع مرور الزمان في بنيات المجتمع، مما يعني أن الحقيقة التاريخية تتأثر بالرواية الكثر الذين يروونها بلسانهم أو تلك التي تُدون وتنقل من قبل كُتّابها، لأن تأويلاتهم تحمل إرثا تاريخيا الذي أحتمضهم أثناء سيرورتهم الاجتماعية والانتربولوجية، مما يُفيد أنه لا يمكن للمؤرخ أن يتأتى له الوعي بحقيقة الماضي بصفة نهائية، لأن معرفتنا عنه

Christian Delacroix, *l'histoire entre doutes et renouvellements, les années 1980-1990* in l'histoire et les historiens en France depuis 1945 .p.207.

40 ارتور شوبنهاور، *العالم إرادة وتقللا*، مج1، ترجمة سعيد توفيق، سلسلة المجلس الأعلى للترجمة، القاهرة، مصر، 2006، ص943.

41 محمد مزيان، المصدر السابق، ص. 103

42 علي حرب، المصدر السابق، ص.22.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

معرفة اجتماعية، ومن ثمة فالتاريخ المكتوب موجود داخل بني قوة محسومة ثقافيا<sup>43</sup> التي تلتحف بالتصورات المشتركة الجماعية، وبالتالي يصعب خلخلتها أو تصحيحها، لأن الوجدان الجمعي تشرهها. لذا تُعدُّ تلك الميولات النفسية للمؤرخ عائقا لبناء موضوعية تاريخية. وضمن هذا السياق، يصطدم المؤرخ الساعي إلى الكشف عن الحقيقة التاريخية بالرموز الثقافية ومعانيها التاريخية وقيمها الثقافية المتنوعة، لأن لكل رمز تاريخي يُؤرخ لكل مرحلة تاريخية إلى نظام من الدلالات<sup>44</sup> والتصورات الكثيرة التي يحتاج المؤرخ إلى تفسيرها وفق إطار نظري أو بحسب ما استنتجه من دراسات ميدانية لثقافات معينة لعل ذلك يساعده على إيجاد مضامين تُقارب الحقيقة المبحوث عنها. علما أنه ليست هناك رموز ثقافية أصيلة، لأن منها المهاجرة والمستوطنة في ثقافات أخرى وتسافر بدون جواز سفر، كما أنها ليست في حاجة إلى تأشيرة المرور لتصبح مع صيرورة الزمن من ركائز وبنيات تلك الثقافات المستقبلية، وهذا يعني، لا وجود لرمز ثقافي صافي وطاهر. وضمن هذا الإطار، يتطلب من المؤرخ الباحث ألا يصدر حكما على الفترة التي أُنتجت فيها تلك الأحداث أو القيم الرمزية من قبل أناس معينين<sup>45</sup>، والعلة في ذلك، أن ما يعتبره مؤرخا عاش في عصر من العصور اضطهادا قد لا يكون كذلك بنظر مؤرخ عاش في عصر آخر يختلف عنه في مسلماته الاجتماعية<sup>46</sup>، وهو ما يقال تاريخيا في المفاهيم المستخدمة، والتي تصف الأحداث من قبيل الفُتوحات مُقابل الغزوات، والهجرة

<sup>43</sup>ألون مونسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص.45.

<sup>44</sup>كلود ليفي سترواس، الفكر البري، ترجمة نظير الجاهل، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987، ص. 311.

<sup>45</sup>كلود ليفي سترواس، المصدر السابق، ص.308.

<sup>46</sup>نوري جفري، التاريخ مجاله وفلسفته، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، 2007، ص.137.

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

النبوية مقابل الهروب، والجهاد مقابل الإرهاب، والاستعمار مقابل الحماية أو الانتداب الأوروبي. وهو ما يفسر تنوع أحكام المؤرخين على قضايا معينة، لأنهم يتأثرون بالعقائد السائدة في المجتمع المميز لهذه الحقبة التاريخية عن تلك؛ فتقييم مثلا مؤرخ ما لفترة تاريخية تمتد إلى التاريخ القديم تختلف بالبتة والمطلق عن أحكام أو تفاسير المؤرخ الراهن للأحداث المعاصرة، لأن لكل مرحلة تاريخية قيمها المتنوعة، وقد يتأثر المؤرخ بالأيدولوجية السائدة، بمعنى أن لكل عصر عوالمه الخاصة، ولهذا لا نستغرب أن مؤرخا ما قد يطلق على حركة عسكرية اسم عصيان أو تمردا على حين أن مؤرخا آخر ينعته بأرق النعوت وألطفها كأن يصفها بالتحريض أو التطهير وما شاكلها<sup>47</sup> من الأوصاف السياسية كالاستقلال والحرية، علما أن الغزو والاحتلال حصل في تاريخ البشرية، رغم اختلاف شروطه وعوامله من الحقب الماضية إلى اليوم وبصرف النظر إلى أساميه المتنوعة، وتعد لفضة الاستعمار الكلمة الجامعة بين مختلف المؤرخين، بوصفه جرثومة تسبب إليه مسؤولية تخلف العالم العربي. بمعية أذنبه والمتحالفين معه من بني جلدتنا العربية. فما علاقة **والسلطة الحاكمة بالحقيقة التاريخية ؟**

### الحقيقة التاريخية والسلطة الزمنية

نقصد بالسلطة الزمنية، مؤسسات الدولة التي لا تسمح لصوت المؤرخ النقدي الجريء البوح بأفكاره، لذا نجدها تُقيد قلمه بأغلال من الممنوعات، ولا تسمح له النبش فيما تسميه بالخطوط الحمراء أو المناطق المجهولة لدى الكثير من الباحثين، وهذا مرتبط على ما نعتقد بضعف توطين السؤال النقدي بهذا الكيان السياسي أو

47 المصدر السابق، ص.142.

ذاك، والذي تتفاوت فيه درجات الحرية والتعبير عن الأفكار من هذا الوطن العربي إلى ذلك رغم تشابههما في الحكم المطلق. علما أن الأمر لا يقتصر على البلاد المستبدة بل يشمل أيضا الدول التي لها تجارب في الممارسة الديمقراطية العريقة، فهي أيضا لا تسمح بالكشف عن مجموعة من الحقائق التاريخية، منها مثلا منع مجموعة المؤرخين العرب المقيمين ببلاد الغرب الارتياح في محرقة الهولوكست، لأن التشكيك فيها يعرضهم إلى تهمة معاداة السامية، ولهذا صمت الكثير من هؤلاء المؤرخين الحديث عنها أو التلميح إليها في كتاباتهم، وفي السياق المنع أيضا، نذكر مثلا أنه تم نفي الكثير من الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في غزو العراق بالإفصاح على جرائم أسيادهم في البيت الأبيض التي أفضت إلى قتل الآلاف من أبناء الشعب العراقي الشقيق<sup>48</sup>، وبالتالي فالمؤرخ في هذه الحالات يواجه تغول الدولة العميقة بالغرب بشكل عام. وفي سياق مغاير، وفي بلد المغرب مثلا، انخرط المؤرخ في الفضاء العام ضمن لجان علمية وبرلمانية وسياسية لتقصي الحقائق، لإظهار خبايا ما يُعرف في تاريخ المغرب الحديث بسنوات الرصاص، تقلد فيها المؤرخ مسؤولية التقارب مع السياسي<sup>49</sup>، إلا أن ذلك التناوب التوافقي الذي حصل بين الدولة العميقة المغربية وما سمي تاريخيا بحكومة التراضي لم يسهم في إزالة الحجب عن الكثير من قضايا حقوقية لاسيما أن التقارير والمعلومات التي قدمتها السلطة الحاكمة لا تفصح عن كل شيء، لأن الاعتراف بتفاصيل الأحداث التي وقعت آنذاك لا ينسجم مع كبرياء

---

48 منى ميمون، جرائم الحرب في العراق خلال الغزو الأمريكي، مجازر بلا عقاب، مجلة الاجتهاد الفقهي، مج12، 16، مارس 2020، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2020، ص.ص. 691 - 710.  
49 طارق مدني، بين التاريخ والسياسة الأدوار المجتمعية للمؤرخ، ضمن كتاب، التاريخ والسياسة مقاربات وقضايا، كلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسك، الدار البيضاء، 2013، ص. 50.

الدولة المركزية بالمغرب، أي جهاز المخزن<sup>50</sup>، لأن البحث عن الحقيقة التاريخية يجعل صاحبها يصطدم بالذاكرة المجروحة<sup>51</sup> التي لا تريد الدولة المغربية العميقة الكشف عنها، وهذا يعني أن الرواية الرسمية تحتكر الحقيقة التاريخية، وماعدا ذلك من روايات المؤرخين وشهود عيان يُعدُّ افتراءً وآراءً دفيئة تُعبر عن حقد تاريخي تجاه الدولة المغربية<sup>52</sup>. ذاك جانب من الخطاب الرسمي الذي نفهم من خلاله أخطار تسييس التاريخ من قبل الغواية السياسية<sup>53</sup> الذي يمارسها المتهورون، بحسب اعتقادات السلطة الرسمية، ومن ثمة فكتابة التاريخ السياسي ليست بالأمر البريء، وهذا يعني أن الحقيقة ليست جاهزة، وإنما هي ما يجري إنتاجها أو صنعه وانجازها أو تبادلها وتداولها<sup>54</sup> وفق مصلحة السلطة الزمنية العربية، ففي عهدها اختفت الحقيقة التاريخية، خصوصا إثر صعود السلطوية في الوطن العربي من جديد بعد احتواء الانتفاضات العربية وإدماج الأحزاب التي كانت تُحسب على التيار المعارض ضمن لعبة السياسة، ليظل سؤال التأخر التاريخي الذي تتسم بها وضعيتها السياسية بدون اجابات رغم الوعود التي قطعها على نفسها التي يتضح أنها مُسكّنات تاريخية وأوهاما بيعت للناس من أجل تجاوز المرحلة العvisية التي حلت بالدول العربية. وإذا اخفت السلطة المستبدة الحقيقة التاريخية، فلم يتبق لنا إلا المنهج العلمي لبلوغها، فهل نتكئ على منهج واحد أم نفتح على غزارة المناهج العلمية ؟

50 محمد مزيان، المصدر السابق، ص ص. 95- 110.

51 المصدر السابق، ص. 96.

52 نادية كسوس، النساء والعنف السياسي خلال سنوات الرصاص في المغرب، المجلس الاستشاري لحقوق

الانسان، الرباط، المغرب، بدون تاريخ، ص ص. 55. 74.

53 غي تويليه وجان تولار، صناعة المورخ، ترجمة العادل العوا، دار الكلمة للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، سوريا، 1999، ص. 57.

54 علي حرب، أصنام النظرية وأطراف الحرية، هـد بورديو وتشوسسكي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص. 60.

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

## المنهج العلمي والحقيقة

إن المطلع على المدارس التاريخية الفكرية الغربية، سيقف على مناهجها العلمية المتنوعة والمتبعة في قراءتها للمادة التاريخية واستنطاقها، ومن الأكد أن كل مدرسة لها أسسها النظرية التي تبغي الموضوعية التاريخية. كما أنها لا تفلت من شبك النقد والمساءلة المستمرة، خصوصا إذا استحضرننا ما يشهده العالم من طفرات معرفية وثورات علمية. لذا، يُعدُّ العمل المنهجي للمؤرخ طريقا ومسلكا لبلوغ الحقيقة التاريخية، لأن ما يتوصل إليه قد يكون احتمالي أو جزء من الحقيقة أو يُعبر عن رؤية المؤرخ للحدث التاريخي، علما أن هذا الأخير يتَّسع لكل العلوم، سواء العلوم الانسانية أو العلوم الدقيقة، لأن الوقائع التاريخية هي نتاج تفاعل مُعقد وليست لها حجم مطلق<sup>55</sup> يتداخل تركيبها بين الجانب النفسي والاقتصادي والسياسي والثقافي والذهني إلى غير ذلك من الأبعاد المختلفة، وبالتالي لا مجال للتفاخر في استعمال هذا المنهج العلمي عن ذاك، أو الادعاء بتفوق خطة علمية عن أخرى، كما أن التمسك بالعقيدة العلمية الوحيدة لا يمكن أن يساعد على الكشف عن حقيقة الشيء المبحوث عنه، لأن السلطوية المعرفية لمنهج معين يعيق مسار البحث العلمي، ولهذا لا نمثل مهمة المؤرخ بمسؤولية الفيزيائي وتجاربه المخبرية ولا نناظر عمله بقوانين القاضي أو تحقيقات الشرطي في سعيهم جميعا للبحث عن الحقيقة، لأن وظيفته أقوى وأعم من وظائف أولئك الرجال الثلاث، وإن كانوا جميعا يدعون أنهم يبغون الحقيقة، لأن صلاحية هذه الأخيرة لا تنحصر في الكشف عن جور أو تحقيق عدالة مظلوم أو التوصل إلى استنتاجات علمية كوسمولوجية. وتفيد هذه المقارنات أن المناهج

55 بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية، فكر وثورة في المنهج، ترجمة ابراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997، ص. 45.

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

العلمية المساعدة على كشف التخلف كحقيقة تاريخية هي المسلك الوحيد والأوحد لبلوغها دون أن نلغي دور الأغيار الراغبين على ابقاء تلك الوضعية التاريخية حتى لا تتغير الوضعيات ويُسحب من بساطهم عوامل التقدم، فما دوره في اعاقه تنمية الوطن العربي ؟

### الأخر مشاركا في اكتشاف الحقيقة التاريخية

لا ننكر دور الآخر في صناعة التاريخ والكشف عن الحقيقة، لاسيما أنه يمتلك من المعدات التقنية والعلمية، فضلا عن سرقة للأرشيف الذي بحوزته سنوات استغلاله لبلاد العرب، فاحتجزه في مؤسساته العلمية منذ حقبة الاستعمار، وهذا جعلنا نحمله جزءا من مسؤوليته التاريخية عن تخلفنا؛ لأنه القوي الذي احتل أرض العرب منذ القرون الماضية وما زال إلى اليوم يغتصب أرضهم تحت مسميات ايدولوجية وعقائدية عنصرية وشعارات حقوقية وهمية، كما زرع كيانات سياسية وهمية لكي يلوي ذراع الأنظمة السياسية العربية بمجموعة من الإملاءات التي ترغم بها البنوك الدولية الدول العربية والإسلامية على التزامات معينة مقابل الحفاظ على أنظمتها، وهذا يعني لا زالت أشكال استعمارية موجودة في بلادنا لا يمكن تجاهلها، مما يفيد أيضا، أننا ما زلنا أجانبا في بلادنا 56، مما يعني أن الغرب يتحمل وزر التأخر التاريخي لبلاد العرب، لأنه يمتلك خبرات واسعة في البحث العلمي، فهو الذي نهب تراثنا وسرق أحلامنا، وهو ما يفسر لدينا كونه يمتلك أسرار تخلف العالم العربي، نقول هذا التصور ليس من باب المؤامرة، بل إننا نُحمله جانب من المسؤولية التاريخية في التأخر التاريخي الذي نعيشه راهنيا كحقيقة واقعية. لذا

<sup>56</sup> مارك فرو، الاستعمار الكتاب الأسود 1600 - 2000، ترجمة محمد صبحي، مكتبة الاهلية للنشر، عمان، الأردن، 2008، ص.16،

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

نطالب بفتح الأرشيف الذي كتبه الغرب عنا لنكتشف الأحداث التي كان فيها فاعلا أساسيا، وأخفى عنا الكثير من الحقائق التي صنعها وكان فيها بطلا مفترسا وأحيانا متوحشا هادئا، من جملتها مثلا، وثيقة الحماية / الاستعمار الفرنسية للمغرب التي نجهل فحواها، وبأي لغة كتبت، إنها الرواية المفقودة في كل الكتابات التاريخية التي تبحث عن حقبة الاستعمار الفرنسي للمغرب، ولهذا فالكشف عن مضامينها يُخرج الدولة العميقة بفرنسا لفضح خروقاتها لبنود الوثيقة السابق ذكرها، لهذا فالتفكير في الحقيقة التاريخية واجب علمي، لا تكتمل صورتها إلا بالتواصل مع الآخرين<sup>57</sup>، تواصل من شأنه أن يبقى مستمرا بدون توقف رغم ما يعتري الدبلوماسية بين الأنا المسلمة والغير النصراني المستعمر المتفوق عسكريا وتكنولوجيا في بعض الأحيان فتورا سياسيا وحربا نفسية. علما أننا قد نتوسع في مفهوم الآخر، فقد يكون يُراد به السلطة الزمنية الحاكمة التي تحتكر الحقيقة لنفسها في البلاد الذي ينتمي إليها المؤرخ الباحث، وقد يتجسد أيضا هذا الآخر في المستعمر، أو قد يتجلى في الأحزاب السياسية التي تمتلك جانب من الحقائق التاريخية السياسية، لأن لها خبرة في المشاركة السياسية في تدبير الشأن العام لكن انخراطها في اللعبة السياسية أفضى إلى طمس الحقائق وإخفائها عن الموردين والأتباع وما بالك بالمخالفين، ويقال الأمر نفسه على التنظيمات النقابية التي تتستر على مجموعة من القرارات الوزارية والحكومية تحت طائلة الواجب النقابي لتخبئ حقائق معينة ليست في صالح الشغيلة القطاعية التي تنتمي إلى هذا المجال أو ذاك، والتي تصطدم بحجب المعلومة عنها من قبل هذه الهيئات المدنية، وهو ما يفسر أن الدولة تبحث عبر رقابتها ومراقبتها

<sup>57</sup> Paul Ricœur, *Vérité et mensonge, in histoire et vérité*, éditions seuil, Paris, 1964, p. 46 - 60

وشرطتها عن عرقلة كل نشاط حر، وتعتقد أنها تقوم بواجبها، وتريد أن تجعل من الانسان شيئاً ما، إن هذا التصنيف، يعني أنها لا تمنح الفرد أية صفة وأية مهمة<sup>58</sup>، وبالتالي لن يتعرف المؤرخ المختص في تاريخ الأحزاب أو الأنشطة النقابية أو الباحث الملم بالتاريخ السياسي عن كل صغيرة أو كبيرة لأن السياسة دهاء ومكر واحتيال، وتسمح لنا هذه الشروحات التشخيصية من استنتاج تخلف المشهد السياسي المغربي، نظير الواقع السياسي العربي، وهو بوابة لفهم أسباب التأخر التاريخي لبلاد العرب، وتلك حقيقة تاريخية تزعجنا كباحثين. فكيف نفهم هذا الواقع المتخلف ؟

### التأخر التاريخي كحقيقة واقعية

نعني بالتأخر التاريخي، وضعية المجتمعات العربية الراهنة، والتي هي امتداد لحقبة مسترسلة من الاخفاقات والعنف السياسي المستمر، وإن كان يخفو في بعض اللحظات التاريخية، فهو ينام ليستيقظ على ويلات الصراع على السلطة، علماً أن وضعية البلدان العربية لا تشبه وضعية المجتمعات الغربية تاريخاً وثقافة، مما يجعلنا نتساءل عن المكانة العلمية للنقد التاريخي في العالم العربي ودوره في تقديم اجابات عن أسئلة الحاضر ؟

تمثل وضعية الانحطاط التاريخي إحدى الأسئلة التي تؤرق المؤرخ الباحث في الوطن العربي، وانطلاقاً من هذا القلق الوجودي التاريخي أملنا علينا التفكير في الواقع الراهن وليس البحث عن مشاهد ماضوية، لأن التاريخ معرفة وليس سرداً للماضي الانساني<sup>59</sup>، لعل ذلك يقودنا إلى الاسهام في تجاوز التأخر التاريخي في

---

58 Max Stirner, *L'unique et sa Propriété*, 1845, Trad., RL, Reclaire, éditions, Stock, Paris, France, 1899, p.182.

59 Henri Irénée Marrou, *De La connaissance Historique*, éditions Seuil, Paris, 1959, pp.32. 33

### اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

المستقبل، ومن ثمة فإن الوعي التاريخي بالمرحلة الراهنة هو السبيل للخلاص من وضعية التقهقر التاريخي، ولكن استدراك التخلف يستلزم وقتا باعتبار أن التقدم ليس متوصلا بل ينشأ عن قفزات ووثبات أو طفرات<sup>60</sup> طويلة الزمن، بمعنى آخر، أن التنمية تتعارض مع الأحلام الوردية والخيال والأساطير التي يروج لها الساسة، بل هي نتيجة مجهود كبير صارم ومنظم<sup>61</sup>، ذاك جانب من الإجابة على الإشكال التاريخي الذي طرحناه كإشكال مركزي، وهو الأمل المنشود ليضحي التطور واقعا تاريخيا ملموسا نعاينه في المستقبل الحاضر.

وصفوة القول، أن فهم الوضع العربي الراهن المحاصر تقنيا وسياسيا واقتصاديا، والذي يُفد بفخ الديون الخارجية، ديون تتمثل في أموال العرب التي تعاد إليهم على شكل قروض، أي من أموالهم المحبئة في المؤسسات المالية الغربية يتم اعادتها إليهم كسلفة، وهو ما يفسر استمرار التبعية الاقتصادية للرأسمالية العالمية كحقيقة واقعية راهنية تتأثر بها الشعوب العربية سلبا، واستيعاب هذه الحقيقة التاريخية الراهنة والمعاشة يساعد البلدان المتخلفة على النهوض من سباتها لكسر طوق التخلف وردم الهوة القائمة حاليا بينها وبين الدول المتقدمة، ولهذا لن يمنع السبق المعرفي والتطور التكنولوجي وتسارعه المستمر في الغرب، من إدراك أسباب تخلف البلاد العربية طالما أنها تزخر بكفاءات علمية عالية لكنها تهاجر أوطانها بلا توقف، لكن بالإمكان عودتها إلى حضن الوطن لكي تضخ التقدم في عروق حكماها المهووسون بالحكم، وهذا يعني أن الخروج من التخلف ليس بالأمر الصعب، لكن يحتاج إلى توضيحات

60 Claude Levi Strauss, *Race et Histoire*, éditions Denoël, Paris, France, pp. 36. 39.

61 Henri Irénée Marrou, ... op. cit. pp.32. 33

## اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

كبيرة ونزوع عن السلطة ونزواتها، لأن التخلف هو ثمرة الاستبداد الداخلي المتحالف مع الاستبداد الخارجي، فهو هو نتاج ارث ماضوي.

المراجع العربية:

- ارنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة، مصر، 1997.
- ألون مونسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
- إيف بينوت، ما هي التنمية، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985.
- بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ترجمة جورج زينات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009.
- بول فين، أزمة المعرفة التاريخية، فكو وثورة في المنهج، ترجمة ابراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997.
- جون لويس غاديس، المشهد التاريخي كيف يرسم المؤرخون خارطة الماضي، ترجمة شكري مجاهد، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة قطر، 2016.
- جوناثان هابر، التفكير النقدي، ترجمة ابراهيم سند أحمد، سلسلة المعارف الأساسية، مؤسسة هنداي، لندن، إنجلترا، 2017.
- ديفيد كريستال، مختصر تاريخ اللغة، ترجمة أحمد الزبيدي، دار الكتب العلمية للطباعة و النشر والتوزيع، بغداد العراق، 2018.

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

- طارق مدني، بين التاريخ والسياسة الأدوار المجتمعية للمؤرخ، ضمن كتاب، التاريخ والسياسة مقاربات وقضايا، كلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسيك، الدار البيضاء، 2013.
- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية، نقد بورديو وتشومسكي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيكية، المركز العربي للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005.
- غي تويليه وجان تولار، صناعة المؤرخ، ترجمة العادل العوا، دار الكلمة للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، سوريا، 1999.
- فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، دار محمد علي للنشر، تونس صفاقس، 2012.
- فريد بن سليمان، مدخل لدراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.
- قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب، مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2013.
- كلود ليفي سترواس، الفكر البري، ترجمة نظير الجاهل، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987.
- كلود ليفي سترواس، العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019.

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

- مارك فرو، الاستعمار الكتاب الأسود 1600 - 2000، ترجمة محمد صبحي، مكتبة الاهلية للنشر، عمان، الأردن، 2008.
- محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2005.
- محمد مزيان، المعرفة التاريخية بين ذاكرة الأُم وتحقيق المصالحة المجتمعية، تجربة المغرب نموذجاً، مجلة أسطور، ع13، مركز بحوث دراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2021.
- مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- مصطفى حجازي، سيكولوجية التخلف مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط9، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- منى ميمون، جرائم الحرب في العرق خلال الغزو الأمريكي، مجازر بلا عقاب، مجلة الاجتهاد الفقهي، مج12، ع1، مارس 2020، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2020.
- نادية كسوس، النساء والعنف السياسي خلال سنوات الرصاص في المغرب، المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، الرباط، المغرب، 2009.
- الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 2013.

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

- يوسف كرم، الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، القاهرة، 2007.

### المراجع الاجنبية

- Carl Schmitt, La Notion de Politique, Tr, Marie Louise Steinhausen, éditions, Flammarion, Paris, France, 1992 .
- Charles A. Beard, The Noble Dream, in Friz Stem, ed, The Varieties of History, From Voltaire to The Present, London, Macmillan, 1970.
- Christian Delacroix, L'histoire entre doutes et renouvellements, Les années 1980-1990, in L'histoire et Les Historiens en France depuis 1945 .
- Claude Levi Strauss, Race et Histoire, éditions Denoël, Paris, France, 1987
- Florence Descamps, L'historien, L'archiviste et Le Magnétophone, Paris, France, 2005 .
- François Furet, De L'histoire-récit à L'histoire-problème, dans L'atelier de *l'histoire*, éditions, Flammarion, Paris, France, 1982.

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

- Henri Irénée Marrou, De La connaissance Historique, éditions Seuil, Paris, 1959.
- Max Stirner, L'unique et sa Propriété, 1845, Trad., RL, Reclaire, éditions, Stock, Paris, France, 1899
- Mostafa Hassani Idrissi, Pensée Historienne et Apprentissage de L'histoire, éditions, L'Harmattan, Paris, France, 2005.
- Paul Ricoeur, Vérité et mensonge, in histoire et vérité, éditions seuil, Paris, 1964.
- Paul Valery, Regarder sur Le monde Actuel, éditions Gallimard, Paris France, 1988
- Paul Veyne, comment on écrit l'histoire, Essai D'épistémologie. Seuil, Paris, France, 1971
- Rymon Aron, Introduction à La Philosophie de L'Histoire, éditions, Gallimard, Paris, 1939 .

اسهام النقد التاريخي في بناء الحقيقة التاريخية

العلوم المساعدة في نقد التصوص والوثائق التاريخية  
أستاذ محاضر "أ" د. عيساوة محمد  
جامعة باجي مختار/عنابة/الجزائر

لاشك أن المقبل على دراسة التاريخ وكتابته بطريقة صحيحة ودقيقة وجب عليه أن يكون واسع الثقافة، عارفا بالعلوم المتصلة بهذا التخصص، والتي تُسمى بالعلوم المساعدة أو الموصلة<sup>(1)</sup>، فالتاريخ شأنه شأن العلوم والمعارف الأخرى لا يُمكن أن يُدرس بذاته مستقلاً عن باقي العلوم أو المعارف، فمثلا لا يُمكن لدارس علم التفسير أن يفهم القرآن الكريم ويتبين معانيه، ويستخرج حكمه وأحكامه دون أن يكون مُلمًا بعلوم اللغة العربيّة، وعلم القراءات، وأسباب النزول، وأحكام النسخ والمنسوخ، وأصول الفقه، والحديث النبوي الشريف وغيرها<sup>(2)</sup>.

وكذلك الحال بالنسبة لدارس التاريخ الذي يحتاج هو الآخر إلى أنواع مختلفة من العلوم والمعارف، للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وتتعدّد هذه العلوم المساعدة للتاريخ أو المواكبة له على حدّ تعبير الباحث العروبي، بتعدّد وتنوع الوثائق التي يعتمدها المؤرّخ، فكلّ منهج جديد نتج عن استغلال نوع مُستحدث من الوثائق،

(1) حسن، عثمان: منهج البحث التاريخي، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص25.

(2) أسد، رستم: مصطلح التاريخ، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص18؛ عبد الواحد ذنون، طه: أصول

البحث التاريخي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004، ص41.

فكل وثيقة جديدة هي مادة علم جديد، ينشأ وينمو بتعريفها وتحقيقتها وفحصها، وتكتسي صفتها التعبيرية بتأسيس العلم الذي تنتمي إليه<sup>(1)</sup>.

ومن أهم العلوم التي لها علاقة بالتاريخ بصفة عامة، وبنقد الوثيقة بصفة خاصة، والتي يُمكن للمؤرخ الاستفادة منها في البحث التاريخي، نجد:

**-اللغة:** اللغات من أهم العلوم المساعدة التي ينبغي أن يتزوّد بها الباحث في التاريخ، فلا بدّ أولاً من معرفة اللغة الأصلية الخاصة بالموضوع التاريخي المراد بحثه، والكتابة عنه، لأنّ التّرجمات التي تكفي لتحصيل الثقافة العامّة لا تفي حاجة المؤرخ في فهم التّاحية التي يُريد أن يتناولها. وتتفاوت أهميّة اللّغة الأصليّة بالنّسبة للموضوعات التاريخيّة المختلفة<sup>(2)</sup>.

فالدارس للتاريخ القديم عليه أن يكون مُطّلعاً على اللّغة الإغريقيّة واللاتينيّة والفارسيّة والفينيقيّة والبونيقيّة والصّينيّة والعبريّة، أمّا المتخصّص في التاريخ الوسيط والحديث فلا مناص له من الاطلاع على اللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانية والألمانية والرّوسيّة والإيطاليّة والتركيّة، واللّغات الإسكندنافية، وكلّها لغات تُساعد في الإحاطة بالجوانب المختلفة للتاريخ الوسيط أو الحديث أو المعاصر<sup>(3)</sup>.

(1) عبد الله، العروي: مفهوم التاريخ-الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول-، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2005، ص 198-199.

(2) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 26.

(3) محمّد، الحزّاط: تأويل التاريخ العربي عند بعض المفكرين المغاربة المعاصرين، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2013، ص 37.

وكلما تعددت اللغات الأصلية القديمة أو الحديثة التي يُلمُّ بها الباحث، اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء، فعليه أن يكون حريصا على دراسة ما يلزمه منها مهما كانت قديمة أو صعبة أو نادرة، مثل اللغة المصرية القديمة أو اللغة الصينية أو العربية أو الفارسية أو الروسية... حتى يستطيع الرجوع إلى الأصول والمصادر التاريخية الأولى، وهذه كلها أدوات أساسية لا يمكن بغيرها السير قُدما في سبيل البحث التاريخي العلمي<sup>(1)</sup>.

ولا يكفي لمن يرغب في التخصص بموضوع معين في التاريخ أن يعرف اللغة الأصلية الخاصة بذلك الموضوع، بل عليه أيضا أن يكون مُلمًا بفقهِ اللغة (الفيولوجيا) الذي يُعد أيضا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ، لأن اللغة تتطور وتتغير معانيها، ومعاني مفرداتها من عصر لآخر، فلا بد للمؤرخ إذا أن يفهم التصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذي يدرسه بدقة تامة، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا عرف هذه اللغة معرفة تامة، واطلع على ما نال ألفاظها من تغييرات مختلفة، ويستطيع الباحث أن يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها في هذا المجال، ولا سيما تلك التي تذكر تاريخ استخدام المفردات اللغوية، وتغير معانيها من عصر إلى آخر، مثل معجم أكسفورد (Oxford) بالنسبة للغة الإنجليزية<sup>(2)</sup>.

- علم قراءة الخطوط أو الأقلام القديمة: يُعتبر هذا العلم من العلوم المساعدة لعلم التاريخ، خاصة التاريخ القديم، فالذي يريد التخصص في تاريخ العرب قبل الإسلام لابد له من الاطلاع على الخط العربي القديم، كالخط المسند والكوفي والرقعة

(1) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 26.

(2) عبد الواحد ذنون، طه: المرجع السابق، ص 44.

والتلث والفارسي وغيرها، والتي تحتاج قراءتها إلى التّعليم والتّدريب<sup>(1)</sup>، ومن أراد الكتابة في حضارة بلاد الرّافدين لابدّ عليه من الاطّلاع على الخط المسامري، ومن أراد دراسة حضارة وادي التّيل عليه الاطّلاع على الخط الهيروغليفي<sup>(2)</sup>.

ومجال هذا العلم شاسع لأنّه يشتمل على جميع أنواع الكتابات التي ظهرت في العالم منذ خمسة آلاف سنة، وحاليا لإعادة إظهار حبر المخطوط المختفي يستخدم هذا العلم الأشعة فوق البنفسجية المصفاة، وإذا كانت النّصوص مُختفية تحت مادة ما، يجري توظيف الأشعة تحت الحمراء؛ ويمثّل الدّور الواسع لهذا العلم في فحصه الدّقيق للمخطوط والحوامل (الأوراق، ورق البردي...) والحبر والاختصارات وأدوات التّرقيم والأرقام، ممّا يسمح في كثير من الأحيان بفحص وتحديد تاريخ الوثيقة، ومكان إنتاجها وصاحبها، فعلم المخطوطات يُفيدنا في نقد الأصالة ونقد التّصحيح<sup>(3)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ كل من اقتحموا هذا المجال ولم يتلقوا تعليما مُنتظما فيه، ارتكبوا في غالب الأحيان أخطاءً فاحشة في القراءة، أدّت في بعض الأحوال إلى نتائج عكسية وتفسيرات لا تُتمُّ إلى الواقع بصلة، ويظهر ذلك من خلال عملية التّقد والتّفسير التي قاموا بها<sup>(4)</sup>.

(1) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 28.

(2) عبد الواحد ذنون، طه: المرجع السابق، ص 44.

(3) محمد، أجي: "التّقد التاريخي خطواته المنهجية والقضايا التاريخية المهيكلة له"، علم الفكر، ع 169، جويلية- سبتمبر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2016، ص 42.

(4) لانجلوا وسينبوس وآخران: التّقد التاريخي، ترجمة: عبد الرّحمان بدوي، ط 4، وكالة المطبوعات، الكويت، 1981، ص 32، 33.

## العلوم المساعدة في نقد النّصوص والوثائق التاريخية

-علم الوثائق أو علم الدبلوماسية: من العلوم المساعدة الضرورية للمؤرخ، ورغم أنّ مصطلح الدبلوماسية حديث النشأة في العالم الغربي، إلا أنه كان معروفاً عند العرب المسلمين، ولاسيما المتخصصين في علم الفقه والحديث، بحيث سُمّي بمصطلح "علم الشّروط"<sup>(1)</sup>.

وقد اشتهر من العرب جملة علماء ألفوا فيه، مثل: هلال بن يحيى الرّازي (ت245هـ/859م)، وكتابه: تفسير الشّروط<sup>(2)</sup>، وأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت321هـ/933م) وكتابه: الجامع الكبير في الشّروط<sup>(3)</sup>.

والوثائق في المعنى العام تدل على كلّ الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دُوّن منها على الورق، ولكنّها في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ، هي: الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية، مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة، أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم، وما يُصيبهم من قوّة أو ضعف، أو المشروعات أو المقترحات المتنوعة، التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو التي تُقدّم إليهم، أو المذكرات الشخصية أو اليومية<sup>(4)</sup>، بالإضافة إلى العهود المبرمة بين الملوك وقوّاد الجيش في العهد القديم، وبين الرّؤساء

(1) عبد الواحد ذنون، طه: المرجع السابق، ص45.

(2) محمد بن إسحاق، ابن التّدميم: الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د. ن، طهران، 1971، ص258.

(3) عبد الواحد ذنون، طه: المرجع السابق، ص46.

(4) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص30.

والأتباع في العهد الوسيط المسيحي، وشيوخ الزوايا والتلاميذ في الشرق الإسلامي<sup>(1)</sup>.

ويسمح هذا العلم بنشر المجموعات الأرشيفية التي خضعت لعدد هائل من أعمال البحث والتّقد، وأوّل خطوة يقوم بها المتخصّصون في هذا العلم هي التّساؤل عن صدق الكتابة التي بين أيديهم، وأنّ ما يظهر لهم يطابق الحقيقة، وأنّ الوثيقة صادقة، أي أصليّة<sup>(2)</sup>.

- علم الأختام والزّنوك: تتصل دراسة الوثائق بدراسة الأختام التي تُمهر بها، والزّنوك (الشّارات) الموجودة عليها، وهي ذات أنواع وأشكال مختلفة، وقد شاع استخدام أختام الشّمع منذ أزمان بعيدة، ووُجدت الأختام المعدنية وخاصة من الرّصاص، كما وُجدت أختام الذهب عند ملوك الكارولنجيين زمن العصور الوسطى، وظلّت تُستخدم عند بعض الأسرات الحاكمة حتّى أزمنة حديثة، ولقد تعدّدت أشكال الأختام بعامة، فمنها المستدير، ومنها البيضي، ومنها ما له شكل المثلث أو القلب أو الصّليب مثلاً<sup>(3)</sup>.

وكان لمُعظم الحُكّام والأمراء والخلفاء المسلمين أختام خاصّة بهم، عليها عبارات وشعارات معيّنة تُميّزها عن غيرها، كانوا يستعملونها في توقيعهم على الوثائق والسّجلات، وبدونه تُعتبر الوثيقة غير مكتملة وفي ذلك يقول ابن خلدون: "... وذلك أنّ الخاتم إذا نُقشت به كلمات أو أشكال ثمّ غُمس في مُذاق، من الطّين أو مداد

(1) عبد الله، العروي: المرجع السابق، ص 112.

(2) محمد، أبجي: المرجع السابق، ص 43.

(3) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 31.

ووضع على صفح القرطاس، بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفح، وكذلك إذا طُبع به على جسم لّين كالشّمع، فإنّه يبقى نقش ذلك المكتوب مُرتسماً فيه...ويكون هذا من معنى النّهاية والتّمّام، بمعنى صحّة ذلك المكتوب ونفوذه"<sup>(1)</sup>.

أمّا الرّنوك فهي العلامات المميّزة التي تظهر على الأختام، أو الدّروع أو على ملابس الجند أو الأسلحة، أو على الأعلام، وقد وُجدت هذه الشّارات والعلامات منذ القدم، وظلّت موجودة في العصور الوسطى، ومازالت لغاية يومنا هذا. وتفيد معرفة الباحث بأنواع الأختام في التّثبت من صحّة الوثائق التي هو بصدد دراستها، كما أنّ معرفته بالرّنوك تجعله قادراً على إثبات صحّة ما يقع تحت يده من الدّروع أو الأسلحة أو الوثائق؛ وفي الوثائق مثلاً عندما يُمحي الإمضاء أو التاريخ، تُساعد في هذه الحالة العلامة الواضحة على الحتم -إن وُجدت- في التّعرف على شيء أو أشياء من حقيقتها<sup>(2)</sup>.

-علم التّقود أو المسكوكات (التميّات): يُعد علم التّقود أو المسكوكات من العلوم المهمّة في البحث التاريخي، فالتّقود هي وثائق تاريخيّة لا يمكن الطّعن بها بسهولة، وهي مهمّة في إعانة المؤرّخ على التّوصّل إلى الحقائق التاريخيّة، لأنّها بما تحملها على وجهيها من كتابة ورسوم وعلامات، ترسم لنا أبعاداً تاريخيّة وسياسية وفكريّة ودينيّة، ومن هذه الناحية تبرز أهميّة دراسة المسكوكات كوثائق تاريخيّة<sup>(3)</sup>.

(1) عبد الرّحمان، ابن خلدون: المقدّمة، دار الفكر، بيروت، 2007، ص 270.

(2) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 31-32.

(3) ناهض، عبد الرزاق: المسكوكات وكتابة التاريخ، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد، 1988، ص 5.

وتُعتبر النقود وثائق هامة يمكن الاعتماد عليها في استنباط الحقائق التاريخية، سواء ما يتعلق منها بالأسماء، أو بالعبارات الدينية المنقوشة عليها، وهي سجل للألقاب والتعوت، التي تُلقى الضوء على كثير من الأحداث السياسية، والتي تنفي أو تُثبت تبعية الولاة أو السلاطين والبلاد للخلافة أو للحكومات المركزية في التاريخ الإسلامي<sup>(1)</sup>.

ولما كانت السكة الإسلامية عامة، تُمثل أهمية خاصة في تشخيص الأحداث المتعلقة بالفترة التي صُربت فيها، لارتباط نصوصها وعباراتها بالاتجاهات السياسية والمذهبية للدولة والحكام في آن واحد، فقد أضحت قناة فعالة في تصوير تصارع المذاهب من خلال ما كان يُنقش عليها من عبارات موجهة، ويمكن الوقوف على ذلك من سكة الداعية أبي عبد الله الصنعاني الذي يُعتبر بحق أول من سكّ دنانير ذهبية تذكارية في تاريخ الفاطميين منذ ظهورهم ببلاد المغرب، تخليدا لانتصارات الشيعة على أمراء بني الأغلب السنّيين (الأحناف) في معركة الأُرُس سنة

---

(1) عبد الرحمان فهمي، محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها، دار القلم، القاهرة، 1964، ص5.

296هـ/908م، التي قضت نهائياً على نظام حكمهم<sup>(1)</sup>، فكانت إرهاصاً لبداية نظام جديد ذي فلسفة مختلفة في الحكم والحياة<sup>(2)</sup>.

ويذكر القاضي التّعمان بعض العبارات الدّينية التي سجّلها في سكّته سنة 297هـ بمدينة القيروان معقل أهل السنّة تحدّياً لهم، حيث كتب على وجهه، "بلغت حجّة الله"، وعلى الوجه الآخر "تفرّق أعداء الله"، ولم ينقش فيها اسماً لأحد<sup>(3)</sup>، ويفهم من ذلك مدى العداء المُستحکم بين الشّيعيّة والسنّة آنذاك.

والمتأمل في الشّعارات الجديدة التي سجّلها أبو عبد الله الشّيعي على دنائره التّذكاريّة أنّها استُعملت لأوّل مرّة في قاموس المسكوكات المغربيّة منذ بداية ظهورها، ولا شك أنّ هذه الصيغ المُستحدثة كان القصد منها الدّعاية الإعلاميّة وتهيئة الجو المناسب لظهور الإمام الجديد وهو المهدي المنتظر الذي كان يدعو له<sup>(4)</sup>. ومن خلال التّفود نستطيع أن نحكم على وجود تبادل تجاري بين الأمم والشّعوب، فمثلاً الكميات الكبيرة من التّفود العربيّة التي تمّ العثور عليها في أماكن

---

(1) بعد دخول أبو عبد الله الشّيعي مدينة رقّادة حاضرة بني الأغلب، قام بإجراءات توضّح مفهوم النظام الجديد، من خلال إضافته لعبارة: "حيّ على خير العمل" بعد "حيّ على الصّلاة"، وأسقط عبارة: "الصّلاة خيرٌ من التّوم"، (الآية 79 من سورة التّمل) من أذان الفجر، ونقش على خاتمه: "فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ"، وفي الخاتم الرّسمي: "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، (الآية 115 من سورة الأنعام). أنظر: ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليني بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص151.

(2) صالح، بن قربة: أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص130.

(3) افتتاح الدّعوة، تحقيق: فرحات، التّشراوي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986، ص250.

(4) صالح، بن قربة: المرجع السابق، ص132.

## العلوم المساعدة في نقد النصوص والوثائق التاريخية

نائية، وبخاصة في إسكندناوه ومنطقة بحر البلطيق وأودية الأنهار في روسيا، تتهض دليلا على وجود تجارة واسعة بين العالم الإسلامي وهذه المناطق النائية<sup>(1)</sup>، ومن خلال النقود أيضا يستطيع المؤرخ إثبات أو نقض الكثير من الأخبار التي وصلت إلينا عن طريق المدونات التاريخية، والوثائق الرسمية، فيحتمل أن تأتي بعض الأخبار مخالفة للواقع نتيجة لتأخر تدوينها، أو أنها وصلت عن طريق السماع، أو سقطت عن أيدي النساخ سهوا، أو عمدا، كتحديد زمن حكم بعض الملوك والخلفاء، أو إثبات تاريخ ثورات معينة، أو انقضائها، وهكذا يمكن أن نستفيد من المسكوكات الإسلامية لدراسة جوانب متعددة من تاريخنا<sup>(2)</sup>.

ومن خلال المسكوكات تم تغيير بعض حقائق التاريخ ومسلّماته، وحل بعض القضايا المطروحة، فقد أثبتت النقود أن مدينة سامراء لم يُصّبها الخراب حتى سنة (323هـ/934م) بحيث وصلت إلينا دراهم ضربت فيها في تلك السنة، وذلك نقيض ما يُجمع عليه المؤرخون العرب، من أن مدينة سامراء قد هُجرت، وآلت إلى الخراب الشامل، بعد أن تركها الخلفاء العبّاسيون في سنة (279هـ/892م)، وهناك مثال آخر من المغرب العربي تحل فيه المسكوكات مرّة أخرى مشكل مؤسس مدينة فاس، حيث يُشير معظم الكتاب والمؤرخين القدامى أن إدريس الثاني (177-213هـ/793-828م) هو الذي أسس مدينة فاس سنة (192هـ/816م)، في حين أننا نجد نقدين ضربا في هذه المدينة نفسها، الأول يحمل

(1) أمين، الطيّبي: "النقود العربية - انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى -"، مجلة المؤرخ العربي، ع19، بغداد، 1981، ص196.

(2) عبد الواحد ذنون، طه: المرجع السابق، ص50.

تاريخ (185هـ/801م)، والثاني يحمل تاريخ (189هـ/804-805م)، الأمر الذي دعا إلى ترجيح إنشاء مدينة فاس في عهد إدريس الأول، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى<sup>(1)</sup>. وعليه فالتقود تقوم بقسط كبير من المهمة التاريخية لذا عُدت من أجل المصادر<sup>(2)</sup>.

**علم الآثار:** يبحث علم الآثار في مخلفات الماضي وبقايا الأثرية واستخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة في التنقيبات، ودراستها من أجل استخراج الدلالة التاريخية، ويأتي علم الآثار في مقدّمة الطرق العلمية في جمع مادة التاريخ الأولى، وتشمل الآثار كل ما هو مدوّن بالخطوط القديمة، أو بقايا الأبنية والعمارة والفنون والزخارف، والأدوات، والآلات المختلفة، التي استعملها الإنسان في مختلف شؤون حياته اليومية<sup>(3)</sup>.

ويبقى علم الآثار ألصق التخصصات التاريخية بالتطور العلمي، وقد وصل هذا العلم حدًا من الدقة والتطور والتنقن، بحيث أصبح علما مستقلا بذاته يهدف إلى ما يهدف إليه التاريخ التقليدي وبطرق أصيلة تبدو للجميع أكثر موضوعية وأقلّ تأثرا بالأهواء والأغراض، وهو علم ملازم للتطور البشري، ولم يعد محدودا لا في

---

(1) ليفي، بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب: محمود عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي، نهضة مصر، القاهرة، 1956، ص17؛ صالح، بن قرية: المسكوكات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص14.

(2) محمد باقر، الحسيني: تطور التقود العربية الإسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1969، ص3.

(3) عبد الله طه، السلمي: منهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان- الأردن، 2010، ص100.

## العلوم المساعدة في نقد النصوص والوثائق التاريخية

الزّمان ولا في المكان، والباحث في الأركيولوجيا يدرس المخلفات الماديّة المتنوّعة التي يتركها الإنسان، ويشغل علم الآثار اليوم كل العلوم التّقليدية والحديثة، وضمنها التاريخ المكتوب، خاصّة المرتكزة على الطبيعيات والرياضيات، والتي يستعين بها الباحث الأثري<sup>(1)</sup>، وعليه فإهمال الآثار معناه فقدان جزئيّ لذاكرة الأُمّة، والأُمّة التي تنسى ماضيها ترتبك في حاضرها ومستقبلها<sup>(2)</sup>.

ومّا يدخل في مجال الآثار النّقوش الشّاهديّة، ويقتصد بها الكتابات الموجودة على شواهد القبور، والتي لها شأن كبير في دراسة الحياة الدّينيّة والاجتماعيّة، لارتباطها بعالم الأموات عكس الكتابات الإنشائيّة والتذكاريّة، التي يرتبط وجودها بعالم الأحياء المليء بالحركة ومتناقضات الحياة. فهي محايدة ومعاصرة للأحداث التي تسجّلها، لم تتغيّر من ناقل إلى ناقل، أو من راوٍ إلى راوٍ إلاّ في حالات نادرة جدّاً<sup>(3)</sup>. وإذا كان علماء تاريخ الحضارة يعتمدون في دراستهم على مخلفات الأُمم، ليتعرّفوا بها أحوالها وعاداتها، ويقيسوا بها درجاتهم في التّقدّم والتّخلف أو من الأصالة والتّقليد، فليس من شك أنّ شواهد القبور التي تُعد وثيقة رسميّة، تسجّل تاريخ حضارة كل بلد أصدق تمثيل في العصر والتاريخ المسجّل عليها<sup>(4)</sup>.

(1) عبد الله، العروي: المرجع السّابق، ص 129-130-131.

(2) تقي، الدباغ: مقدّمة في علم الآثار، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1981، ص 7.

(3) سيّدة إسماعيل، كاشف: "الآثار الإسلاميّة ودراسة التاريخ الإسلامي"، ضمن الكتاب الذّهبي للاحتفال الخمسيني بالدراسات الآثارية بجامعة القاهرة، عدد خاص من مجلّة كلية الآثار، القاهرة، 1978م، ج 1، ص 72.

(4) مصطفى عبد الله، شيحة: شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ج 1، ص 09.

## العلوم المساعدة في نقد النصوص والوثائق التاريخيّة

ومن الفوائد التي تقدّمها النقوش الشّاهديّة للنّاقد التّاريخي بصفة خاصّة وللبحث العلمي بصفة عامّة:

- أسماء الأشخاص المتوفّين والذين تتبعهم في أغلب الأحوال نسبهم ومهنتهم.
- تاريخ الوفاة باليوم والشّهر والسّنة.
- تمكّن من التّعرّف على التّمايز الطبقي في المجتمع من خلال المواد التي الموجودة عليها هذه النقوش (مرمر-رخام بتشكيلاته النوعيّة واللّويّة-حجر-أخشاب...إلخ)
- أمّا فيما يخصّ تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي على وجه التّحديد فقد قدّمت النقوش الشّاهديّة للنّاقد التّاريخي الكثير من الفوائد العلميّة منها:
- تطوّر الصّيغ الدّينيّة الموجودة على الشّواهد وظروف استعمالها:
- 1-الصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وقد وردت بصيغ عديدة بحسب التّيّارات الدّينيّة والسياسية.
- 2-تنوّع الآيات القرآنية المستعملة، مثل سورة الإخلاص وغيرها.
- 3-عبارات دينيّة كثيرة، كلّ عبارة منها تبرّر دوافع كتابتها.
- تكشف عن طبيعة المذاهب الدّينيّة السّائدة في ذلك العصر من خلال أسماء المتوفّين التي تُشير إليها.
- تُفيد في التّعرّف على الأسماء والمصطلحات الأجنبيّة الدّخيلة على اللغة العربيّة.
- تكشف لنا بما لا يدع مجالاً للشّك عن مراحل تعريب مدن المغرب الإسلامي، وانتشار الثّقافة العربيّة الإسلاميّة.

العلوم المساعدة في نقد النّصوص والوثائق التّاريخيّة

- تُساعد في تتبّع تطوّر الأساليب الصّناعيّة والفنيّة لا سيما في عمليات التّحت والحفر والزّخرفة.

- تُعدّ معينا لا ينضب ومصدرا أصيلا موثوقا لدراسة نشأة الخط العربي وانتشاره وتطوّره ببلاد المغرب الإسلامي، والتّعريف على أهم فروعه وأمناطه الكتابية<sup>(1)</sup>.

- علم الجغرافيا: لعلّ من أوثق العلاقات بين التاريخ والعلوم الأخرى، تلك التي بين التاريخ والجغرافيا، فكلّ حدث تاريخي يتضمّن عنصر المكان، أي المجال الذي وقع فيه، ويُفسّره إلى حدّ ما<sup>(2)</sup>، حيث إنّ للظواهر الجغرافية المختلفة أثر كبير - مع غيرها من المؤثّرات - في الإنسان وبالتالي في التاريخ، وذلك تبعا لنوع تفاعله مع بيئته، ومواجهته لظروفها، فالسهول، والجبال، والصّحاري، والوديان، والأنهار، والبحار، والخلجان، والغابات، والجزر، والمناخ، والرياح، ونوع الثّروة الطّبيعيّة، والموقع الجغرافي، تؤثّر كلّها في تكوين الإنسان، وبالتالي في توجيه تاريخه<sup>(3)</sup>.

فالحضارة والتّاريخ ما هما إلاّ تفاعل بين بيئة الإنسان وقابليّته، فزى مثلا أنّ المناخ العام، كحالة الأمطار، والأنهار والطقس، وما تُقدّمه البيئة من إمكانيات اقتصادية، وكذلك موقع القطر الجغرافي، واتصالاته يؤثّر في تكوين الإنسان، وفي خلقه ونفسيّته، وفي حياته السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة<sup>(4)</sup>، وقد أدرك المؤرّخون القدامى هذه الحقيقة، فاهتمّوا كثيرا بالمعالم الجغرافية، وأصبحوا يُقدّمون

---

(1) صالح، بن قرية: أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، المرجع السابق، ص 207-209. 1

(2) الدباغ: المرجع السابق، ص 139.

(3) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 33.

(4) عبد الواحد ذنون، طه: المرجع السابق، ص 58.

للتاريخ الجغرافيا، وأوضح مثال على ذلك ما جرى عليه معظم المؤرخين العرب في الأندلس، الذين وصفوا الميدان قبل ذكر الحوادث، وبذلك أصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد، وعنوا بالجغرافيا عنايتهم بالتاريخ<sup>(1)</sup>.

ومن وظف الجغرافيا وسيلة للتدق في البحث التاريخي نجد ابن خلدون وجان بودان، حيث اعتبر الأول أنّ تحديد المكان معيارا لتمحيص الأخبار، بمعنى أنّه لم ينظر في علاقة البيئة بالإنسان أو بالكائن الحي عامّة مع إغفال دور اجتهاد المؤرخ الباحث، بل بحث في علاقة الأخبار بظرفها المكاني في منظور المؤرخ، وطالب الثاني الناظر المتعمّن في أخبار الماضي بأن يتحقّق من عدالة المخبر، وأن يلتفت في الوقت نفسه إلى شواهد اللغة وإلى وصف الأماكن، وأنّ ما يُخبر به يوافق أوصاف المكان الذي يدّعي أنّه حدث فيه<sup>(2)</sup>.

- **علم الاقتصاد:** تُعد الظروف الاقتصادية عنصرا أساسيا في فهم وتفسير التاريخ، وعليه ينبغي للباحث في التاريخ أن يدرس الأحوال الاقتصادية للعصر أو التاحية التاريخية، التي يتناولها بالدراسة ويرغب في الكتابة عنها، فالثروة الطبيعية في بلد ما تُحدّد شكل الإنتاج الزراعي والصناعي ونوع التبادل التجاري، وكذلك فإنّ طريقة توزيع الثروة الطبيعية أو الأموال ومدى تركّزها في يد طبقة أو طبقات معينة، أو مستوى بين فئات أكثر عددا، يُؤثّر في السياسة الداخلية لدولة ما، ويؤثّر في نظام الحكم بها، وفي مستوى الرّخاء أو الفقر، وفي حياة النّاس وعلاقتهم ببعضهم البعض، ويؤثّر في مستوى العمران ونهوض الحضارة أو تدهورها، كما تؤثّر الظروف

(1) حسين، مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986، ص54.

(2) عبد الله، العروي: المرجع السابق، ص257-258.

الاقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجي، سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادي أم السياسي أم العسكري<sup>(1)</sup>.

ختاماً نستطيع القول أنّ كل هذه العلوم هي ضرورية لفهم التاريخ وتفسيره، لأنّ التاريخ يتناول جميع مجالات النشاط الإنساني، وعليه لا يستطيع الباحث أو الناقد التاريخي أن يفهم الحادثة التاريخية أو يفسرها إلا إذا كان له إلمام واسع بهذه العلوم، وتتفاوت أهمية كلّ علم عن الآخر بحسب صلته المباشرة بموضوع البحث.

---

(1) حسن، عثمان: المرجع السابق، ص 36-37-38.

## الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

د. سمير لعري

أستاذ بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق، المغرب.

مقدمة

لقد فرض الإحساس بالانتكاس والتخلف والتأخر التاريخي لدى النقاد العرب، التفكير مليا في تأسيس مشاريع فكرية يمكن أن تقدم حلولاً مناسبة للخروج من هذا المأز، ولعله الهاجس الذي يجمع مختلف التيارات التي سادت في مصر إبان عصر النهضة.

إن تتبع طه حسين لتحولات النقد العربي الحديث، والبحث في مكامن الخلل الذي يعاني منه، جعله ينخرط في الحوار الجدلي، محاولا التأسيس والتحديث في الخطاب النقدي العربي، وساعيا نحو المساهمة في الخروج من صرح التراث المترسب وتجديد الأدوات النقدية.

يحدد طه حسين جملة من المبادئ والأسس التي يتوصل بموجبها إلى أحكام منطقية في نقده للتاريخ العربي، والتي من شأنها أن تصحح الكثير من ما ترسب في العقل العربي، وهذه الأسس بالنسبة إليه بمثابة ثوابت لإدراك الأدوات الخاصة بهذا المنهج الذي استقاه من المناهج الغربية.

في هذا السياق تحديدا أثرت جملة من الإشكالات المعرفية، أهمها: كيف يمكن تأسيس نظرية نقدية عربية تتجاوز أزمة المنظومة الثقافية العربية وما تتخبط فيه من اضطراب بين القديم والحديث؟

ولفهم طبيعة الممارسة النقدية عند طه حسين، سيحاول البحث معالجة الأسئلة الآتية: ما هي الآليات والاستراتيجيات المنطقية والنقدية التي يقترحها في قراءته للتراث الأدبي، وللشعر العربي القديم على وجه التحديد؟ وكيف يحتاج للإقناع بهذه الآليات في إطار رؤية منهجية موضوعية؟

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

## أولاً: مرجعيات الفكر النقدي عند طه حسين وأسسها المنطقية والمنهجية.

نروم في هذا الجانب البحث في المؤثرات التي أسهمت بشكل فعال في تشكيل الوعي النقدي عند طه حسين، وبالأخص الدراسات التي أسست لمشروعه النقدي في قراءة النص التراثي الشعري.

إن البحث في المرجعيات "هو بحث في جوهر الأعمال النقدية، وذلك لأنه يسمح باستكناه جذور العمل والإحاطة بمكوناته واستيعاب تفصيلاته وهضم رسالته، بل وسيلة ناجعة تنتهي إلى الحكم العقلي والوجداني المتوازن على مكانة العمل ومدى صلاحيته"<sup>1</sup>، وتقصد بمرجعيات الفكر النقدي، "الأفكار الجوهرية التي تشكل قاعدة لكل الأفكار والمعتقدات في اتجاه ما أو مذهب ما، وتبرز أهميتها في كونها الركيزة الثابتة، والتي لا يمكن لأي خطاب أو معرفة أو رؤية بدونها"<sup>2</sup>،

ننتقل في هذا المبحث من فرضية أساسية، مفادها أن استيعاب وفهم الخلفيات التي يتأسس عليها الخطاب النقدي عند طه حسين مدخل أساسي للنظر في التداخل المنهجي بين تلك المرجعيات الفكرية والفلسفية، التي يستند إليها، وبين طريقتيه وأسلوبه في المحاججة والدفاع عن دعواه؛ حيث إن ارتباطه بالعقلانية يجعل خطابه متمسماً بالإخلاص لتلك المرجعية وهو ما تفرضه العلاقة بين المرجعية والمنهج ونمط المحاججة، وأي تضارب بين هذه العلاقة يوقع صاحبه في النقد والتناقض..

<sup>1</sup> ماجد الجعافرة، أجد طلاحة، المرجعيات في النقد والأدب واللغة، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، علم الكتب، المجلد 2011، ص: 20، 21.

<sup>2</sup> إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب الأدب وخطاب النقد، مجلة مقاليد، العدد السادس، 2014، ص 132.

## الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

وأمام هذه الأهمية البالغة للبحث في المرجعات، سنحاول إبراز ركيزتين أساسيتين في فكر طه حسين، وهما الثقافة العربية والثقافة الغربية، وذلك نظرا لمساهمتها في بناء الفكر النقدي على أسس وركائز ثابتة، وكذا تحديد الأسس المنطقية التي يتأسس عليها طرحه النقدي. ينهض هذا الجانب من الدراسة على محاولة بسط مختلف المرجعيات التي أسهمت في تشكيل الوعي النقدي عند طه حسين، فالتأمل في مشروعه النقدي سيلاحظ تنوع المصادر التي تألفت لتشكيل وعيه النقدي لدرجة يصعب حصرها جميعا، لكن يمكن أن نشير هنا إلى المرجعية التراثية والمرجعية الحديثة باعتبارهما أبرز رافدين لتكوين فكره ورؤيته.

### 1\_ المرجعية التراثية عند طه حسين

تتمثل المرجعية التراثية في الاعتراف من الموروث العربي بضرابه المتنوعة، كالنقد والبلاغة والنحو.. والجدير بالذكر أن طه حسين كانت بدايته تراثية، فقد نهل من التراث العربي بكل ما يحمله، حيث تلقى تكوينه في الأزهر، "فكانت السنوات التي قضاها في الأزهر من أهم مراحل تكوينه العقلي، التي أصبحت قواما أساسيا لثقافته اللغوية والنقدية فكل ما يمتاز به أسلوبه من الرصانة والفصاحة يرجع إلى هذه الفترة التي تعلم فيها دروس الأدب على شيوخ الأزهر وخاصة المرصفي"<sup>1</sup>.

يقول طه حسين حول المدة التي قضاها في الأزهر، "كانت فترة انتقال، فكان محمد عبده يفسر القرآن على طرق حديثة والشيخ المرصفي يعلمنا الأدب، وكلاهما يذم الطرق الأزهرية، وكان قاسم أمين يقول بحرية المرأة، وفتحي زغلول يترجم لنا كتبنا قيمة، والجريدة تنادي بمعايير جديدة في السياسة والاجتماع، فكنا في اضطراب ذهني لا نستقر وشعرنا

<sup>1</sup> عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1977، ص:30.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

نحن تلاميذ المرصفي أن طرق الأزهر عتيقة فكنا نتكلم وناقش عن الإصلاح الذي يقوم به الشيخ محمد عبده، وقد حضرت له محاضرتين ولكن مع ذلك الوقت شعرت أن الأزهر لم يعد يشبع ما في نفسي من الأغراض الأدبية فتركته والتحقت بالجامعة المصرية<sup>1</sup>.

إن لتلميذه هناك على يد "علي المرصفي" أثر واضح في تربية الذوق الفني لديه، ويشيد طه حسين بفضلها قائلاً: أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي، أصح من عرفت بمصر- فقها في اللغة، وأسلمهم ذوقاً في النقد، وأصدقهم رأياً في الأدب، وأكثرهم رواية للشعر، ولا سيما شعر الجاهلية، وصدر الإسلام.. قد أثر في نفسي تأثيراً شديداً<sup>2</sup> ولا غرابة في أن يتشكل عن طه حسين ذلك الذوق النقدي ويطلع على الكثير من الشعر الجاهلي، يضيف مشيداً بمذهب أستاذه: مذهب الأستاذ المرصفي نافع النفع كله، إذ أريد تكوين ملكة في الكتابة، وتأليف الكلام، وتقوية الطالب في النقد وحسن الفهم لآثار العرب<sup>3</sup>.

هذه نبذة عن التوجه الذي وسم بدايات طه حسين قبل أن يجد نفسه في حالة من الانهيار بالثقافة الغربية التي شكلت الموجه الأكبر لوعيه النقدي.

## 2\_ المرجعية الغربية الحديثة واستعارة المناهج

لم تسلم آداب الأمم على مر التاريخ من تيارات التأثير التي تتوافد عليها من روافد أجنبية متعددة، والأدب العربي في ذلك شأنه شأن الآداب العالمية، فقد توافد عليه في العصر- الحديث تيارات فكرية أوروبية شملت مناهج نقدية وتصورات فكرية وليدة بيئة مغايرة، لامست مختلف الأجناس الأدبية العربية.

<sup>1</sup> سامي الكيلاني، مع طه حسين، دار المعارف، مصر، ط2، ص: 17، 18.

<sup>2</sup> طه حسين، تجديد ذكري أبي العلاء، دار القلم، بيروت، ط1، 1974، ص: 05.

<sup>3</sup> نفسه، ص: 08

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

إن المتتبع لمسيرة النقد الأدبي يمكن أن ينتبه إلى دخول المناهج الغربية وتأثر بعض النقاد بتوجهاتهم وخلفياتهم، وهو ما يمكن اعتباره نقطة فاصلة في مجال النقد الأدبي، حيث إن هذا المنعطف ساهم في اختلاف الرؤية إلى الأدب وإلى مختلف القضايا الفكرية والمعرفية. لقد وجد الناقد العربي نفسه منبهراً أمام الثقافة الغربية وإنجازاتها وقدرتها على إنتاج خطاب يمكن أن يسير الحداثة والتحويلات التي يعيشها العقل الغربي، فكان لنقاد الأدب العربي أن ينهلوا من تلك المعارف والأفكار التي تصلح لتأسيس خطاب نقدي معاصر، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى عميد الأدب العربي طه حسين الذي يمثل نموذجاً للمشروع النقدي الحداثي الذي يستمد مرجعيته من الغرب، والذي يطرح العديد من التساؤلات من قبيل:

ما هي المرجعيات والمنطلقات الغربية التي تأسس عليها المشروع النقدي عند طه حسين؟

كيف يستثمر طه حسين هذه المرجعيات في قراءة التراث العربي؟

إن أول اتصال لطه حسين بالثقافة والآداب الغربية، كان لحظة عزوفه عن متابعة الدراسة التقليدية التي كان يتلقاها بالأزهر، وتوجه نحو الجامعة المصرية التي افتتحت عام 1908، حيث إن طه حسين كان من أوائل المنتسبين إليها، ليدرس بها طائفة من العلوم العصرية كالتاريخ والجغرافيا والحضارة الإسلامية، ودروسا في اللغة الفرنسية، وقد سمحت له هذه الفترة بالاتصال بمجموعة من المستشرقين الأوروبيين الذين تلقى على أيديهم العلم، وكان منهم المستشرق الإيطالي "جويدي" والمستشرق الإنجليزي "مورغوليث" والمستشرق الإيطالي "كارلو نيلينو" وهو أكثر الأساتذة تأثيراً على طه حسين، إضافة إلى أساتذة آخرين في مجالات متعددة.

تمثل الثقافة الفرنسية بالنسبة لطه حسين صورة لامتداد الثقافة اليونانية، لأنه "كانت معتدلة وحريصة على ألا تقيد المؤلف إلا بمقدار حرصها على أن تلامم بين ما تنتج على ما فيه

**الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.**

من التجديد وبين ما هو قائم من النظام والتقليد لأن الأمة الفرنسية التي هي متأثرة بالطبيعة اللاتينية ومتأثرة بطبيعة هذه الحضارة، حضارة البحر الأبيض المتوسط قريبة في عقلها وشعورها من اليونانية واللاتينية<sup>1</sup> إن هذا الاهتمام بالثقافة الفرنسية واليونانية جعل ثقافته متمزج بهذين العنصرين إضافة إلى ثقافته المصرية.

لقد كان طه حسين من الرواد الذين حاولوا تجديد المناهج النقدية عن طريق اتصاله الوثيق بالثقافة الغربية، واطلاعه الواسع على مناهج البحث الحديث، فالمنهج عند طه حسين يمثل أحد الجوانب التي تحتاج إلى قراءة عميقة ومتأنية، وتحديد الجانب المتعلق بتفاعله مع المنجز الغربي، ذلك لأنه لا يمكن الحديث عن مشروعه النقدي دون الالتفات إلى أشكال ودرجة استفادته من تلك المناهج الغربية، وحتى نلامس جوانب هذا التأثير والاتصال سنكتفي بالإشارة إلى بعض المناهج التي استعارها واعتمدها في كتابه " في الشعر الجاهلي"، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى المنهج التاريخي ومنهج الشك، حيث يقوم المنهج التاريخي على استرداد الظروف الخارجية المحيطة بالنص الأدبي بحثاً عن العلل الكامنة خلف الوقائع الأدبية، ويهتم بدراسة الأدب في علاقته بالبيئة التي ظهر فيها منفتحين على الظروف السياسية والاجتماعية والدينية.

لقد حاول طه حسين استثمار ما استوعبه حول هذا المنهج بعد اطلاعه على نظريات تين وسانت بيف وغيرهما، وحاول اقتفاء أثرهم في التأريخ للأدب العربي بتطبيق هذا المنهج المنفتح، والاهتمام بمختلف العلل الكامنة خلف العمل الأدبي، وذلك في بحثه الموسوم بـ " تجديد ذكرى أبي العلاء" سنة 1914؛ الذي ركز فيه على ربط الأدب بالبيئة التي أنتج فيه، وعبر فيه بوضوح عن تأثره بهذه النزعة التاريخية، حيث يقول: "والمذهب الذي أحدثته

<sup>1</sup> عبد العزيز شرف، طه حسين وزال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص: 35.

الجامعة في درس الأدب بمصر نافع النفع كله، لاستخراج نوع من العلم، لم يكن لنا به عهد من شدة الحاجة إليه وهو تاريخ الآداب، تاريخاً يمكننا من فهم الأمة خاصة، والأمة الإسلامية عامة<sup>1</sup>.

وكما يضيف: " ليس الغرض من هذا الكتاب أن نصف حياة أي العلاء وحده، إنما نريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية في عصره، فلم يكن لحكيم المعرفة بإظهار آثاره المادية والمعنوية، وإنما الرجل وما له من آثار وأطوار نتيجة لازمة، وثمره ناشجة لطائفة من العلل التي اشتركت في مزاجه، وتصوير نفسه، من غير أن يكون له عليها سيطرة أو سلطان"<sup>2</sup>، يبدو واضحاً من خلال هذا القول احتكام طه حسين إلى تفسير الظواهر الأدبية تفسيراً سببياً يتجاوز النص إلى عوامل خارجية أسهمت في تشكله.

ونجد تطبيقات هذا المنهج عند طه حسين واضحة في كتابه " في الشعر الجاهلي " أيضاً، حيث انتقد بشدة المقياس الذي يربط انحطاط ورفق الأدب بالسياسة، كما بحث في المؤثرات والأسباب التي تحمل على انتحال الشعر الجاهلي، فنجده يقول: " فإذا فرغنا من هذه الأسباب العامة التي كانت تدعو إلى الانتحال والتي تتصل بظروف الحياة السياسية والدينية والفنية للمسلمين فلن نفرغ من كل شيء، بل نحن مضطرون إلى أن نقف وقفات قصيرة عند طائفة أخرى من الأسباب، ليست من العموم والاطراد بمنزلة الأسباب المتقدمة،. ولكنها ليست أقل منها تأثيراً في حياة الأدب العربي القديم"<sup>3</sup>.

أما منهج الشك الذي اعتمده طه حسين في دراسته للأدب العربي بصفة عامة، والشعر العربي بصفة خاصة، فيتأسس على فلسفة ديكارت، وقد عبر عن ذلك في مطلع كتابه " في

<sup>1</sup> أنور الجندي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار الاعتصام، ط2، 1988، ص: 21.

<sup>2</sup> تجديد ذكرى أي العلاء، م س، ص: 375.

<sup>3</sup> في الشعر الجاهلي، طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار سؤال للنشر، بيروت لبنان، 1929، ص: 134.

**الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.**

الشعر الجاهلي "بقوله: "إني سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكرت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر- الحديث"<sup>1</sup>.

لكن ما يمكن إجماله حول استثمار هذه الخلفية المهمة لتجديد المنهج النقدي العربي عبر استثمار اطلاعه بالثقافة الغربية، ومحاولة التجديد باعتماد أدوات ومناهج غربية فتحت آفاقا معرفية غير معهودة، ودفعت بالنقد الأدبي العربي إلى معالجة جديدة؛ إلا أن طه حسين لم يتخلص من نظرة التقديس إلى ما صدر من النقاد الغربيين، لذلك بقي محصورا بين الرغبة في خلق نقد عربي يستمد خصوصيته من الواقع العربي وثقافته ويساهم في تطوير القديم، وبين استيعاب المناهج النقدية الحديثة التي تنتهك الخصوصيات.

### ثانيا: الأسس المنطقية والمنهجية للتفكير النقدي عند طه حسين

نقصد بالأسس المنطقية تضمين عناصر عقلانية تنويرية<sup>2</sup>، يمكن أن تنقل النظرة إلى التراث من الحيز اللاهوتي الذي يقدر الماضي إلى التاريخي الذي يرى الماضي

<sup>1</sup> نفسه ، ص19.

<sup>2</sup> نقصد بالتنوير هنا، المعنى الذي يحدده جابر عصفور: وهو منح الأولوية للعقل في إدراك الوجود، وإبداع العالم، والنظر إلى العقل البشري بوصفه النور الذي يهتدي به الإنسان، ويصوغ بعالمه، متحررا من أشكال الوصاية التي تحجر على العقل أو قيد انطلاقه...، و اقتران نور العقل بحرية الإنسان وحقه في اختيار فعله الخلاق وممارسته، في كل مجالات الفعل المعرفي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وذلك في مواجهة طوائف أخرى استبدلت بالعقل النقل، وبالحرية العبودية، وبالاختيار الجبر، وبالعدل الظلام، وبالمعنى العقلاني للتوحيد المعنى القمعي المفروض على الجماعة. انظر جابر عصفور، أنوار العقل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1996، ص:6

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

صيرورة موضوعية ينبغي أن تخضع لمناهج التحليل والنقد<sup>1</sup>. يقول عبد الرزاق عيد متحدثا عن طه حسين: "إن أهم ما يميز ذات الباحث في هذه المرحلة الارتفاع بالواقع، الموضوع، النص إلى درجة العقل، يشيع العقلنة بمثابته قدرة العقل على معرفة الواقع معرفة موضوعية بعيدة عن الأهواء، يشيع هذه العقلنة في أنحاء موضوعاته"<sup>2</sup>.

بذلك حاول طه حسين أن يكون محايدا ومجردا في بحثه من كل الشوائب التي يمكن أن تحول دون الوصول إلى الحقائق، أو تجعله تابعا للتراث ومقدسا له، وأن يعتني بدل ذلك بالأحكام المنطقية والحجج التي تخاطب العقل وتحمل على الإذعان. وسلطة العقل وحدها هي التي يمكن أن تدفع بالوعي النقدي نحو البحث العلمي والكشف عن الحقائق، وتشكيل رؤية فكرية وموضوعية للعالم، لذلك كانت نظريته لا تُعنى بالأدب فقط، بل كان يتعداه إلى مجالات متعددة، تشمل الثقافة والفكر بشكل عام، يقول ماجد السامرائي: "لا شك أنه انطلق من موقف تمليه مسؤولية المثقف، كما وعها هو وأدركها، وهي صياغة المستقبل الذي رآه أكثر ملاءمة لشروط مجتمعه، أو لنقل للشروط التي أراد لمجتمعه أن يأخذها به نفسه فيما رسم له من طريق وأراد التعبير عنه في تحولات باتجاه ما رآه عصريا"<sup>3</sup>.

استنادا إلى هذه العقلانية التي تشكل أساسا مركزيا لمشروعه النقدي، يحدد طه حسين جملة من المبادئ والأسس التي يتوصل بموجبها إلى أحكام منطقية، والتي

---

1 - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، 2010، ص: 16.

2 طه حسين والعقل الحديث، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1995، ص: 66.

3 الثقافة والحريّة، قراءة في فكر طه حسين، الأهالي للطباعة، سوريا، ط1، 1996، ص: 12.

**الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.**

من شأنها أن تصحح الكثير ممّا ترسب في العقل العربي، وهذه الأسس بالنسبة إليه بمثابة ثوابت لإدراك الأدوات الخاصة بهذا المنهج الذي استقاه من المناهج الغربية، وروافد متعددة، كتأثره بمنهج الفيلسوف ديكارت، يقول غالي شكري: "إن المنهج الذي أتى به طه حسين قد استعاره من ديكارت الفيلسوف الفرنسي، وهو منهج الشك في كل شيء."<sup>1</sup>

ويمكن الوقوف عند بعض الأسس والمبادئ التي تُعتبر مركز العقل النقدي الذي ينطلق منه على النحو الآتي:

### 1\_ مبدأ الحرية والموضوعية في الممارسة النقدية:

يعتبر طه حسين الحرية الأدبية والموضوعية مبدأين أساسيين من رؤيته النقدية، حيث إنه لا يمكن التأسيس لنظرية نقدية جديدة في فضاء ثقافي يتسم بمنظومة فكرية تمارس التقديس للأشكال القديمة، وتكرس الإقصاء لكل اجتهاد، بل "يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به، وأن ننسى أيضا ما يصاد هذا الدين، يجب أن لا نتقيد بشيء ولا ندعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح."<sup>2</sup>

إن طه حسين يحدد ما يمكن أن يعيق البحث العلمي الصحيح، وهو التحيز العاطفي للانتماء، سواء كان للدين أو السياسة أو الموروث القديم، وخطابه يحمل دعوى صريحة إلى تجاوز كل هذه المعوقات التي تحول دون تحصيل المعرفة بشكل موضوعي.

<sup>1</sup> غالي شكري، النهضة والسقوط في الفكر المصري، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1982، ص: 247.

<sup>2</sup> طه حسين، في الشعر الجاهلي، م س، ص 20.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

إن مبدأ الحرية في التفكير أساس النقد المنطقي لدى طه حسين، هو جوهر تحصيل المعرفة الأدبية المستقلة عن الإيديولوجيا والدين وسلطة القديم والسياسة، ولعل مبدأ الاستقلال العقلي هو نفسه ما نظر إليه ديكارت سابقا؛ يقول ديكارت: "فإني تعلمت ألا أعتقد اعتقادا جازما في شيء ما بحكم التقليد أو العادة، وبذلك تخلصت شيئا فشيئا من كثير من الأوهام التي تستطيع أن تجمد فينا النور الفطري وتنقص من قدراتنا على التعقل."<sup>1</sup> وقد ظهر هذا الاتجاه النقدي كرد فعل للتأثيرات الوجدانية، والتأملات الميتافيزيقية في القرن الماضي وبداية القرن العشرين، ليدعو إلى تبني "الموضوعية في النقد"، وتعني وصف عناصر الأثر بشكل يتفق مع خصائص وجوده في العالم الواقعي والخيالي،<sup>2</sup> وعليه، يستوجب على الباحث أن يستقبل عمله خالي الذهن من أي حقائق مسبقة، ويقوم علاقة مباشرة مع موضوع بحثه دون أي حائل.

تأكيدا لهذا المبدأ، يقول طه حسين: "الأدب في حاجة إلى هذه الحرية، وهو في حاجة إلى أن يتحرر من التقديس، وهو في حاجة إلى أن يكون كغيره من العلوم قادرا على أن يخضع للبحث والنقد والتحليل والشكل والرفض والإنكار لأن هذه الأشياء الخصبه حق، واللغة العربية في حاجة إلى أن تخضع لعمل الباحثين كما تخضع المادة لتجارب العلماء... فلتكن قاعدتنا إذن أن الأدب ليس علما من علوم الوسائل

---

<sup>1</sup> نقلا عن محمود حمدي الزقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار القلم، الكويت، 1983، ص: 71.  
<sup>2</sup> سمير سعيد مجازي، النقد الأدبي المعاصر، قضاياها واتجاهاته، ط1، دار الأفق العربية، القاهرة، 2001، ص: 137.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

يدرس لفهم القرآن والحديث فقط، وإنما هو علم يدرس لنفسه ويقصد به قبل كل شيء إلى تذوق الجمال الفني، فيما يؤثر من الكلام.<sup>1</sup>

كما يحدد ما يعيق تناول الموضوعي لتاريخ الأدب العربي، ونذكر هنا على سبيل المثال التصور التقليدي للغة، يقول طه حسين: "فاللغة عند هؤلاء ما زالت وسيلة إلى فهم علوم الدين، ومن حيث هي كذلك فهي مقدسة، ومن حيث هي مقدسة فإن شيوخ الأدب لا يرضون أن تخضع اللغة للبحث العلمي الصحيح"<sup>2</sup>.

إن هذا القول يروم تخلص اللغة من قداستها، وهي مشكلة منهجية في نظره، وليست مشكلة أنصار التقليد سوى مشكلة منهج، حيث إنهم "أغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد كما أغلقه الفقهاء في الفقه والمتكلمون في الكلام"<sup>3</sup> ولم يكن لهم علم بمنهج البحث والاستقصاء وتحقيق أحداث التاريخ.

إضافة إلى انتقاده لاتخاذهم السياسة وحدها مقياساً للحياة الأدبية<sup>4</sup>، حيث يرى أن واقع الحياة العربي يشهد عكس ذلك "فقد يكون الرقي السياسي مصدر الرقي الأبي، وقد يكون الانحطاط السياسي مصدر الرقي الأدبي أيضاً، والقرن الرابع الهجري دليل واضح على أن الصلة بين الأدب والسياسة قد تكون صلة عكسية في كثير من الأحيان، فيرقى الأدب على حساب السياسة المنحطة"<sup>5</sup>، لهذا السبب يعدل طه حسين عن العمل بالمقياس السياسي لأنه غير موضوعي ولا يمكن تعميمه،

<sup>1</sup> طه حسين في الأدب الجاهلي ص 160.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 53.

<sup>3</sup> نفسه، ص: 13.

<sup>4</sup> انتقد طه حسين كل المؤلفات التي صارت على هذا المنهج (المقياس السياسي في دراسة الأدب) بما فيها كتاب الرافي تاريخ الأدب العربي.

<sup>5</sup> نفسه، ص: 51، 50.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

ولا يمكن أن يكون محمدا للأدب رغم الصلة التي تسم الأدب بالسياسة، يقول: ولا ينبغي أن تخدعك هذه الألفاظ المستحدثة في الأدب، ولا هذا النحو من التأليف الذي يقسم التاريخ الأدبي إلى عصور، ويحاول أن يدخل فيه شيئا من الترتيب والتنظيم؛ فذلك كله عناية بالقشور والأشكال لا يمس اللباب ولا الموضوع<sup>1</sup>.  
تأسيسا على ما سبق ذكره يمكن القول: إن الحرية والموضوعية مبدآن ثابتان عند طه حسين، وعليهما يقوم مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة، ما يسميه طه حسين بالمنهج الفلسفي<sup>2</sup>.

## 2 \_ الشك المنهجي:

إن مناهج البحث التي سادت في البيئة العربية بالنسبة لطه حسين لا تخرج عن منهجين، وهما: المنهج الإيماني الاعتقادي المطمئن، ويتسم بالتسليم والقناعة بما يُعرض عليه، والمنهج الاحتجاجي المشكك الحائر؛ الذي يرفض كل النتائج التي جاء بها القدامى؛ لأن المنهج عندهم يترك الأدب كما أنتجه القدماء بلا تغيير ولا تبديل، أما المنهج الثاني، والذي يتبناه طه حسين فيبحث عن الحقيقة الصعبة المنال بالمعطيات البحثية الحديثة، ولا يقتنع إلا بالدليل والبرهان، وهو المنهج الذي أعلن عنه في مقدمة كتابه في "الشعر الجاهلي"، حيث يقول: "إني سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع في الأدب هذا

<sup>1</sup> نفسه، ص: 12.

<sup>2</sup> يقصد به طه حسين المنهج الذي استحدثه ديكرت، وهو حسب زعمه يتجاوز العلم والفلسفة والأدب ليشمل الأخلاق والحياة الاجتماعية أيضا.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

المنهج الفلسفي الذي استخدمه ديكرت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث<sup>1</sup>

وتبني هذه النزعة النقدية من طرف طه حسين تأتي بمثابة تمرد على الكثير من مسلمات التراث العربي بشكل عام، والتراث الشعري على وجه الخصوص. يقول طه حسين: بين أيدينا مسألة الشعر الجاهلي نريد أن ندرسها وننتهي فيها إلى الحق، فأما أنصار القديم فالطريق أمامهم واضحة ومعقدة، والأمر عليهم سهل يسير<sup>2</sup>؛ ويقصد بذلك أن أنصار القديم مرتاحين لما وصلهم من شعر، ولما يُمثل من حياة الجاهلية غير مكترئين بالبحث عن حقائق الأشياء.

ولذلك شك في الشعر الجاهلي، بل وفي تاريخ الأدب العربي، مستحضرا اعتبارات متعددة نذكر منها أن المدرسة التقليدية قسمت الأدب العربي تقسيما تاريخيا مرافقا للسياسة، فأطلقوا على كل مرحلة اسما (الأدب الجاهلي والأدب في صدر الإسلام والأدب الأموي والأدبي العباسي..)، حيث لاحظ أن الأدب لا يتوافق دائما والسياسة، فلا يعني أن تكون الدولة مزدهرة سياسيا واقتصاديا أن يكون الأدب متقدما، فقد نجد أدبا منحطا ضمن شروط سياسية واقتصادية مزدهرة، والعكس صحيح، وكذلك شك في الشعر الجاهلي المنسوب إلى شعراء بعينهم موضحا دوافع شكه<sup>3</sup>، حيث يقول: وأول شيء أفاجئك في هذا الحديث هو أنني شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححت في الشك، أو قل ألح عليّ الشك، فأخذت أبحث

<sup>1</sup> في الشعر الجاهلي، م سابق، ص: 19

<sup>2</sup> نفسه، ص: 11.

<sup>3</sup> من الدوافع التي جعلت طه حسين يشك في الشعر الجاهلي كونه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهلين.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

وأفكر وأقرأ وأتدبر، حتى انتهى بي هذا كله إلى شيء إلا يكون يقينا فهو قريب من اليقين، ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلفة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تنقل حياة المسلمين وميوهم وأهواءهم أكثر مما تمثل الحياة الجاهلية<sup>1</sup>.

ويقوم منهج الشك عن طه حسين على مجموعة من القواعد نذكر منها:

— أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما.

— أن لا يقبل الباحث شيئا قط على أنه حق ما لم يتبين لي بالبداهة والوضوح أنه كذلك

— أن تُقسم كل مشكلة في البحث إلى أكثر من ما يمكن من إجراء حتى يتسنى للباحث حلها بشكل أفضل، وهذه القاعدة هي لب التحليل المنطقي، حيث تستوجب البدء بالبسيط ثم التدرج نحو المعقد، وهو ما حاول طه حسين تطبيقه، حيث إنه يشترط في صحة الأدب الجاهلي تمثله للحياة العربية الجاهلية تمثيلا صادقا سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو الاقتصادية.. وينتقل من العام إلى الخاص من أسباب النحل إلى التفصيل في كل سبب، ثم الانتقال من التفصيل إلى التعميم، من فحص الشعر المنسوب إلى ثمود والجن مثلا إلى فحص الشعر الذي يعتقد بأنه خلفته العصبية القبلية والعرقية، وهي القاعدة التي يشير إليها ديكرت بقوله: "أن

<sup>1</sup> في الشعر الجاهلي، م سابق، ص: 15.

أقوم دائماً بإحصاءات كاملة، وبإعادة نظرة عامة، تجعلني على يقين من أنني لم أهمل شيئاً<sup>1</sup>

ومن أهم النتائج التي توصل إليها طه حسين، من خلال هذا المنهج في دراسة للشعر الجاهلي:

- \_\_ ما ينسب من شعر إلى عاد وثمود كله منحول ومزيف.
- \_\_ ما ينسب إلى حمير وجنوب اليمن من أشعار باللغة العربية كله منحول.
- \_\_ الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية للعصر الجاهلي.
- \_\_ انتحال الكثرة مما نسميه الشعر الجاهلي، واعتبارها مختلقة بعد ظهور الإسلام وهي تمثل حياة المسلمين وميولهم.
- الكشف عن أسباب انتحال الشعر الجاهلي ومنها:
  - \_\_ انتحاله بسبب فساد الرواة الذين كانوا يصنعون الشعر وينسبونه إلى كبار الشعراء في الجاهلية وصدور الإسلام.
  - \_\_ انتحال الشعر لأسباب دينية.
  - \_\_ انتحال الشعر لأسباب سياسية وعصبية.
  - \_\_ انتحال الشعر بسبب الشعوية .
  - \_\_ انتحال الشعر للتفاخر بين القبائل المتصارعة.

---

1 - جنيف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبده الحلو، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1977.ص:22

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

### 3\_ مبدأ التجاوز والحتمية:

يرى طه حسين أنه من غير المعقول أن لا يطال مجال الأدب والنقد ما مس من التحديث مختلف جوانب الحياة المعاصرة "فالخطاب الأدبي وصنوه الخطاب النقدي لا يمكن أن يعيش سوى بسعة الانتهاك والتجاوز، وهذا ما أدركه طه حسين، لدرجة أصبح التجديد بالنسبة له ضرورة حياتية،" <sup>1</sup> يقول طه حسين: وسواء رضينا أو كرهنا فلا بد من أن نتأثر بهذا المنهج في بحثنا العلمي والأدبي كما تأثر من قبلنا به أهل الغرب، ولا بد من أن نصطنعه في نقد آدابنا وتاريخنا كما اصطنعه أهل الغرب في نقد آدابهم وتاريخهم، ذلك لأن عقليتنا نفسها أخذت منذ عشرات من السنين تتغير وتصبح غربية، أو قل أقرب إلى الغربية منها إلى الشرقية. وهي كلما مضى عليها الزمان جدت في التغيير وأسرعت في الاتصال بأهل الغرب" <sup>2</sup>.

ولأن طه حسين كان يؤمن بحلول المنهج الجديد كبديل للممارسات التقليدية، فقد راهن على الطائفة المستنيرة لإقامة نهضة أدبية حديثة، يقول: "وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوما وشق على آخرين، فسيرضي هذه الطائفة القليلة من المستنيرين الذين هم في حقيقة الأمر عدّة المستقبل وقوام النهضة الحديثة وذخر الأدب الجديد" <sup>3</sup>.

إن قول طه حسين يُنم عن ثقة كبيرة في حتمية الحداثة وضرورتها، حيث يستند إلى المناهج والتصورات التي سبق للغرب أن طبقها وحصد ثمارها، إذ يرى أنه من غير

1 - عبد الفتاح أحمد يوسف، أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث، خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، دار الأمان، الرباط، ط 2015، ص: 1، ص: 63.

2 في الشعر الجاهلي، م س، ص: 115

3 نفسه، ص: 9.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

المعقول أن لا تساير مصر- هذا التحول الثقافي الذي يقوم على المساواة والاستكشاف والاستقصاء، وبالتالي فتجاوز الأنماط القديمة ورؤيتها للموروث، والأخذ بالأسباب التي أخذ بها الغرب يغدو ضرورة ملحة يفرضها سياق الثقافة، ونجد هذه المعاني نفسها في مواضع عديدة أخرى كقوله:

\_\_ "فالمستقبل لمنهج ديكارت لا لمنهج القدماء"<sup>1</sup>.

\_\_ "وأنت ترى أن الأخذ بهذا المنهج ليس حتماً على الذين يدرسون العلم ويكتبون فيه وجدهم، بل هو حتم على الذين يقرأون أيضاً"<sup>2</sup>.

\_\_ وليس حظ هذا المنهج متميهاً عند هذا الحد، بل يجاوزه إلى حدود أخرى أبعد منه مدى وأعظم أثراً"<sup>3</sup>.

تم هذه الاستشهادات عن هاجس التجديد والتأصيل، فلا يلبث طه حسين أن يقيم الموازنات والمقارنات التي تحسم سيادة المنهج الجديد.

#### 4\_ مبدأ الأدب صدى للحياة:

يعتبر طه حسين أن الأديب ابن بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، وقد تعلم هذا المبدأ من أستاذه كارلو نالينو. يقول طه حسين: ثم لأول مرة تعلمنا أن الأدب مرآة لحياة العصر الذي ينتج فيه؛ لأنه إما أن يكون صدى من أصدائها، وإما أن يكون دافعا من دوافعها، فهو متصل بها على كل حال وهو مصور لها على كل حال، ولا سبيل إلى درسه وفقهه إلا إذا درست الحياة التي سبقته فأثرت في إنشائه، والتي عاصرته

<sup>1</sup> نفسه،، ص: 27

<sup>2</sup> نفسه، ص: 22.

<sup>3</sup> نفسه، ص: 14

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

فتأثرت به وأثرت فيه، والتي جاءت في إثر عصره فتلقت نتائجها وتأثرت بها<sup>1</sup>، وهذا التعبير عن التفسير الاجتماعي للأدب مثلته نظرية الانعكاس في الأدب في القرن التاسع عشر، وهو نفسه الذي يعبر عنه "هيولت تين" الذي يسميه بالقانون الجبري، ويقوم على الجنس والبيئة والعصر<sup>2</sup>. يمكن القول: أن نظرة طه حسين هي ثمرة اطلاعه على نظرية "تين" الاجتماعية التي عبر من خلالها عن الرغبة في تجاوز تخلف العلوم الإنسانية باستثمار مناهج العلوم الطبيعية، غير أن طه حسين لا يقف عند حدود التفسير الاجتماعي للأدب، وإنما نهج نهجا توفيقيا يقوم على التحليل التاريخي والتقويم الفني، "ذلك لأنه مهما يقل في البيئة والزمان والجنس، وهما يقل في تطور الفنون الأدبية، ستظل أمامه عقدة لم تحل بعد ولن يوفق هو لحلها، وهي نفسية المنتج في الأدب والصلة بينها وبين آثارها الأدبية"<sup>3</sup>، فالناقد يحتاج إلى الاستعانة بالقواعد المستخلصة من العلوم، كما يحتاج إلى الاعتماد على حسه النقدي، بهذا الفهم الذي ينظر به طه حسين إلى الأدب والمجتمع، راح يبحث في الشعر الجاهلي باعتباره مرآة تعكس الحياة العربية ومدى ملاءمته للصورة الحقيقية لذلك العصر، ليخلص من خلال تطبيقه لهذه التصورات إلى إنكار الشعر الجاهلي. يقول علي صديقي: وعوض أن ينتبه إلى خطورة التفسير الميكانيكي لهذا المنهج

<sup>1</sup> مقدمة كتاب كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، طه حسين، دار المعارف، ط 2، ص: 8

<sup>2</sup> يشمل مصطلح الجنس مجموعة من الأفكار والوراثة والأرض والمناخ. وتضم البيئة العوامل الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية، في حين يركز العصر على جوانب الاستمرار والتغير في الحضارة، انظر محمد حافظ دياب، النقد الأدبي وعلم الاجتماع، فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد الأول، المجلد الرابع، 1983، ص: 61

<sup>3</sup> في الأدب الجاهلي، م س، ص 47.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

التاريخي، الذي لا يرى في النص الأدبي إلا الوثيقة أو المرآة التي تعكس صورة المجتمع، وينتبه إلى الظروف التاريخية والمعرفية التي أحاطت بنشأة هذا التصور التاريخي، ويقف على أبعاده وحدوده ومدى ملاءمته لموضوعه، تحول لديه هذا المنهج إلى غاية في حد ذاته، وليس مجرد وسيلة<sup>1</sup>.

صحيح أن هذا النقد يُقيم تطبيق طه حسين لهذا المبدأ (الأدب مرآة للمجتمع وللحياة) ومدى نجاعة هذه الرؤية في إثبات صحة الشعر الجاهلي؛ لكن هذه الرؤية فتحت النص الأدبي على آفاق ومجالات معرفية متعددة، من شأنها أن تحيط بالأدب من مختلف جوانبه، وتسمح بطرح أسئلة جديدة تفتح على الواقع بكل تجلياته.

ثالثاً: استراتيجيات الحجاج المنطقي عند طه حسين.

لا شك أن ولادة الجديد بحاجة لمناخ مهيأ يستطيع استيعاب الفكر الجديد، وقبل ذلك لا بد من خوض الصراع مع نظم عمرت كثيراً وفرضت سلطتها مع مرور الزمن، ولا مرية في أن إظهار أشكال الجمود والتخلف والشك في العديد من المسلمات في تراثنا العربي لبنة أساسية لفرض تنوير جديد يجتث جذور التقليد.

من هذه الزاوية حاول طه حسين كمفكر وناقد الإسهام في بناء دعائم النهضة والتجديد على أسس عقلية وعلمية حتى يكون خطابه مقبولاً لدى المتلقي وذا نسقية متماسكة، وليشهر بذلك عجز وإفلاس الأبنية الفكرية القديمة، وقد خاض في هذا السياق معارك فكرية وثقافية عديدة، دافعاً عن أطروحاته، ولعل أكثر الكتب التي أثارت ردوداً وهجوماً شرساً من قبل الأصوليين هو كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي حاول من خلاله هدم دعوى التقليد مقابل التأسيس للمنهج النقدي البديل، وقد

<sup>1</sup> ، علي صديقي، إشكالية التحيز في النقد العربي الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط2016، ص:192.

استند طه حسين على الحجاج المنطقي "الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطائي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي<sup>1</sup>. وهو ما جعلنا ننظر إلى طريقة تشكيل خطابه وطبيعة الاستراتيجيات الحجاجية التي يبني عليها دعواه.

### 1\_ السياق والمقام التواصلي:

مع بداية القرن العشرين بدأت تظهر بوادر مرحلة جديدة على مستوى الخطاب النقدي العربي، وذلك بسبب التأثير الغربي في المشهد النقدي العربي وما صاحبه من طرح أسئلة جديدة، وسرعان ما لاحت بوادر الانقسام والخصام بين الاتجاه النقدي الذي يتبنى مناهج غربية، وبين من يتبنى المناهج التقليدية العربية التي كانت سائدة، يأتي كتاب طه حسين الموسوم بـ "في الشعر الجاهلي" ضمن سياق متمسم بالصراع بين التراث الذي يحمل ذاكرة العرب، وبين الحداثة التي فرضها التأثير بحياة العصر بما تحمله رياح الغرب وأفكارهم، فقد تأثر الكثير من الأدباء والنقاد بالحياة الغربية، وحاولوا أن يسقطوا القداسة عن التراث من خلال اعتماد مناهج ورؤى جديدة مستوردة.

يقول محمد الكتاني حول هذه الفترة: من الطبيعي أن تأتي الحركة النقدية بقدر هذا الخصب والتنوع والوعي، وأن تتأثر بذلك القلق الفكري والنزعة التجديدية والعنف الصراع السياسي والفكري..<sup>2</sup>

<sup>1</sup> طروس محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص:18

<sup>2</sup> ، محمد الكتاني، الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1982. ص:489.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

في هذا المنعطف والتحول الفكري العربي تحديداً<sup>1</sup> يقع كتاب طه حسين المحمل بأفكار التيار الفكري الوافد، لكونه من النقاد المغتربين الحاملين لتصورات الآخر، و متبعاً لأساليب البحث العلمي الذي ينشد الموضوعية، ويقوم على قواعد وأصول. يُعتبر كتاب "في الشعر الجاهلي" أحد البحوث الرائدة في تاريخ الأدب العربي، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلابه، كان يهدف من خلالها بث الشك في الشعر الجاهلي، واعتباره مجالاً مفتوحاً للاجتهد والبحث، فقد حاول إعادة النظر في هذا الشعر، معتبراً أن "الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً، ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين"<sup>2</sup>

حاول طه حسين من خلال عرض أطروحته تلخيص البحث العلمي من الأهواء و العواطف و الأفكار القديمة التي تعيق المعرفة العقلية، حيث سعى إلى بيان الأسباب المنطقية لشكه وتفسيرها وفق مسار حجاجي يحاول من خلاله بناء دعوى تستند إلى معايير ومنهجية نقدية موضوعية في دراسة التراث العربي.

انطلاقاً من هذه الرؤية يذهب طه حسين إلى دراسة الشعر الجاهلي متأثراً بمنهج الشك الديكارتي لخلخلة النظرة القديمة حول الشعر، والدفاع عن حرية التفكير،

---

<sup>1</sup> تفصيلاً للاتجاهين الفكريين البارزين في تلك الفترة، الاتجاه المحافظ والاتجاه التجديدي، انظر الصراع بين القديم والجديد، م س، ص: 491.

<sup>2</sup> في الشعر الجاهلي، م سابق ص: 15

**الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.**

وقد تناول كل ما اعتبر مقدسا من الأشكال القديمة<sup>1</sup> تحت مظلة المساءلة والبحث عن الحقيقة العلمية.

## 2\_ استراتيجية الموازنة:

ترتكز العملية الحجاجية عند طه حسين على التكتيف من حجة المقارنة، وهي من الحجج التي تعتمد في جوهرها على القياس الرياضي بين طرفي قضية ما، يقول جون جاك روبريو: إن حجج المقارنة هي شبه منطقية، إنها تقدم في الغالب باعتبارها تأكيدات واقع<sup>2</sup>، يسعى من خلالها الموازنة بين توجهمين في البحث، توجه منطقي وآخر عاطفي، توجه يبتغي الإقناع بالعقل، وآخر بالعاطفة والاجترار، توجه يوصل للحقائق الموضوعية، وآخر للمسلمات التي لا تقبل المراجعة، توجه يؤمن بالتسليم، وآخر بالأدوات المنهجية.

وعبر هذا النوع من الحجاج يقيم موازنة بين التيار التجديدي والتقليدي من حيث الدوافع والمنهج والنتائج، فحاجج ليثبت بأن الشعر الجاهلي لا يمثل روح العصر، وقران بين الشعر الجاهلي والعصر- الذي ينسب إليه، وبينه وبين آداب اليونان والرومان، و أيضا مع حياة العرب من خلال القرآن الكريم، ليتشكل الحكم النقدي بانتحال الشعر الجاهلي.

وعليه، سيهتم هذا المحور بالكشف عن استراتيجية الموازنة باعتبارها معيارا منهجيا وفكريا تتأسس عليه المعرفة العلمية عند طه حسين، وخطوة أساسية لطرح مسوغات تروم الإقناع بانتحال الشعر الجاهلي.

---

<sup>1</sup> أشرنا في المحور المخصص بمبدأ الشك المنهجي إلى بعض الثوابت التي شك فيها طه حسين ودعا إلى إعادة النظر فيها.

<sup>2</sup> - محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط2005، 1، ص 382.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

## أ\_ الموازنة بين التيار التجديدي والتيار التقليدي:

قبل أن يحاول طه حسين إقناع المتلقي بغياب روح العصر- في الشعر الجاهلي، يستهل بحثه بمقدمة حجاجية تجعل المتلقي يستشعر أهمية التجديد، وبأنها أصبحت ضرورة ملحة، بعبارة أخرى؛ يرى بوجود إجراء بحث علمي خاص بتاريخ الأدب<sup>1</sup>، كما يروم هذا التوجه إعطاء تصورات محددة، وإصدار أحكام نقدية سابقة حول ما سيقوم به لتوجيه القراءة؛ بذلك يصبح هذا الاستهلال خطاباً حجاجياً يصعب القفز عليه، ما دام يسعى إلى نفس الغاية وهي محاولة التأسيس لرؤية نقدية بديلة تتجاوز ما هو متوارث ومعهود.

ففي بداية دراسته يصرح بجديته ببحثه بالقول: "هذا نحو من البحث عن تاريخ الشعر العربي، لم يألّفه الناس عندنا من قبل"<sup>2</sup>.

إن هذا القول لا يخلو من مقصد حجاجي، فهو ينوه بأهمية البحث ويعلي من قيمته، فعبارة "لم يألّفه الناس عندنا من قبل" كفيّلة بأن تثير فضول المتلقي في معرفة الجديد الذي يخالف ما جرت به العادة، فمصطلح المؤلف وما توحى به من معاني الاعتيادي والدارج والعادي والمجتر ..، تحمل نقداً لمشكلة من مشكلات البحث في تاريخ الأدب العربي، وهي الجمود الذي نعي به التيار المحافظ، وهكذا يضع البحوث السابقة في تاريخ الشعر موضع المؤلف والعادي، وأبعد ما تكون إلى الجدة

<sup>1</sup> نشير في هذا الصدد إلى توجه بنى العيد التي ترى أيضاً بضرورة إجراء بحث علمي للخروج من الاضطراب الذي يعيشه النقد العربي الحديث، تقول: وهذا ما يضع نقدنا الحديث، المستفيد من هذه المناهج - تقصد المناهج الغربية- في موضع القلق والاضطراب الدائمين، ويفرض عليه، للخروج من هذا الموضع، العمل على تأسيس فكر علمي في ثقافتنا قادر على المساهمة في إنتاج مناهج نقدية علمي لها صفة الكونية، انظر، بنى العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، ط 1983، ص 120.

<sup>2</sup> في الشعر الجاهلي، م سابق، ص: 09.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

والتجديد، وتخصيص القول بعبارة "عندنا" إشارة إلى الغرب الذي سبقهم في تعرف هذا المنهج في مجال البحث العلمي والأدبي. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المقارنة والموازنة بين المذهبين: التقليدي والتجديدي في البحث بقوله:

"نحن بين اثنين: إما أن نقبل في الأدب وتاريخه وما قال القدماء، لا نتناول ذلك من النقد إلا بهذا المقدار اليسير الذي لا يخلو منه كل بحث والذي يتيح لنا أن نقول أخطأ الأصمعي أو أصاب، ووفق أبو عبيدة أو لم يوفق، واهتدى الكسائي أو ضل الطريق، وإما أن نضع علم المتقدمين كله موضع البحث... والفرق بين المذهبين عظيم، فهو الفرق بين الإيمان يبعث على الاطمئنان والرضا، والشك الذي يبعث على القلق والاضطراب وينتهي في كثير من الأحيان إلى الإنكار والجحد، المذهب الأول يدع كل شيء حيث تركه القدماء لا يناله بتغيير ولا تبديل ولا يمسه في جملته وتفصيله إلا مساً رقيقاً، أما المذهب الثاني فيقلب العلم القديم رأساً على عقب. وأخشى إن لم يح أكثره أن يحو منه شيئاً كثيراً"<sup>1</sup>.

تعتبر هذه الصيغة من المقارنة شكلاً استدلالياً منطقياً يعتمد ثنائيات ضدية متقابلة ومتناقضة، لذلك نجد طه حسين يحصر مجال البحث في أمرين (نحن بين اثنين) ولا مجال للمساومة أو المزاجية أو لخيار آخر غيرهما، فرغم أن التقابل بين الثنائيات الضدية "من الأسس التي يقوم عليها الوجود، فهو يملاً الحياة حولنا ويجعلها تستمر وتبقى ولولاه لفقدت معناها"<sup>2</sup> لكن ما يروم طه حسين إثباته هو أنه لا يمكن الجمع بين التسليم بما قاله القدماء والشك فيه في نفس الوقت.

<sup>1</sup> نفسه، ص: 10.

<sup>2</sup> محمد الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، ص : 234.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

و المعنى أقرب إلى تعريف أي هلال العسكري للمتضادين، يقول: " المتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عن وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالأسود والأبيض.. كل متضاد ممتنع اجتماعه "1.

إذا تأملنا الملفوظ نجد طه حسين قد وظف العديد من الثنائيات الضدية التي تستوجب الوقوف عند ووظيفتها، من قبيل:

— الإيمان ≠ الشك .

— الاطمئنان والرضا ≠ القلق والاضطراب.

— يدع كل شيء حيث تركه القدماء ≠ يقلب كل شيء رأساً على عقب.

إن توظيف طه حسين لهذه الثنائية الضدية في هذا السياق<sup>2</sup> يتعدى كونه مجرد محسنات لتزيين القول، ليصير آلية حجاجية للتمييز بين التيارين، " فأساليب البيان مثل المقابلة والطباق وغيرها، ليست اصطناعاً للتحسين والبديع، وإنما أصلاً أساليب للإبلاغ والتبليغ"<sup>3</sup>. من شأنها أن تدفع المتلقي في هذا السياق إلى الاستنتاج بأن المذهب التقليدي يتسم بالجمود والعجز، ويعيد كل البعد عن التحليل والتبرير والتفسير والإبداع بشكل عام، ويبقى حبيس أحكام عامة، ولا يقدم أي قيمة إبداعية ( ووفق أبو عبيدة أو لم يوفق، واهتدى الكسائي أو ظل الطريق /

<sup>1</sup> الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم للثقافة و النشر والتوزيع، مصر، ص: 158

<sup>2</sup> يكتف طه حسين من استعمال هذه الصيغة في مواضع كثيرة: يقول مثلاً: أما أنصار الجديد، فالطريق أمهم معوجة ملتوية، تقوم فيها عقاب لا تكاد تحصى. هم لا يكادون يمضون إلا في أناة وريث هما إلى البطء أقرب منها إلى السرعة. في الشعر الجاهلي، ص: 06.

<sup>3</sup> طه عبد الرحمان، مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، ع 1987، 9، ص: 18.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

مرتاحين جدا للمسلمات التي ورثوها)، و وفق هذه الاعتبارات التي تشخص بدقة منحى التيار التقليدي، يعمق ضمنا الوعي بضرورة التمرد على المسلمات المقدسة التي سار عليها السابقون لخلق فهم جديد للتراث العربي.

لقد استطاع طه حسين من خلال هذه الثنائيات الضدية أن ينتصر- لمنهج الشك كأسلوب عقلي على الإيمان والاطمئنان السيكولوجي لما يعتبره مجرد زيف و وهم. يُعزز طه حسين هذه المقارنة بين التوجهين بصيغ أخرى مماثلة، تتماشى والغرض الحجاجي الذي يسعى إلى تحقيقه، فيقول: "هم بين اثنين: إما أن يجحدوا أنفسهم ويجحدوا العلم وحقوقه فيريجوا ويستريجوا؛ وإما أن يعرفوا لأنفسهم حقها ويؤدوا للعلم واجبه فيتعرضوا لما تعرض له العلماء من الأذى ويتحملوا ما ينبغي أن يتحمله العلماء من سخط الساخطين"<sup>1</sup>.

يستهل المساجل قوله بحرف "إما" الذي يفيد تعليق الحكم بأحد الشيين (إما.. وإما..)، وهو دفع للتيار التقليدي للوقوع بين أمرين، وهما: إما أن يكسروا أغلال الموروث و قدسيته ويتحملوا بذلك ما يتحمله المجددون من سخط، أو أن يتنكروا للعلم والإبداع والتجديد.

تُمكن هذه الاستراتيجية من جعل التيار التقليدي في مأزق، حيث إنها توجيه المتلقي إلى البون الشاسع بين التوجهين، (توجه يجحد بالعلم وآخر يؤدي للعلم حقه) فالعلم شرط أساسي من شروط التجديد، والانتصار للعلم يمثل نقطة ارتكاز لكل تجديد وحادثة.

<sup>1</sup> في الشعر الجاهلي، ص: 14.

إن هذا التصور العام الذي يقدمه طه حسين حول طبيعة التيارين يضعنا أمام قضية شائكة طالما شغلت العديد من الباحثين، وهي الخصومة بين العلم والتيار التقليدي، أو بالأحرى بين العلم والدين، كأساس ثابت لهذى التوجه؛ فالعلم يمثل التجديد ويتصل بالعقل، والدين يرتبط بالشعور ويمثل الثبات، إن التناقض في خصوصيات كل منهما يمكن أن يجعل المتلقي يعيد النظر في منهج التيار التقليدي الذي وقع في مأزق الاصطدام مع أن العلم لا يعترف بأي قداسة<sup>1</sup>.

يدعم هذا الطرح بحجة المثال التي يشابه بموجبها بين التيار التقليدي و الفقهاء والمتكلمين، إشارة لانسداد الأفق وانعدام الرؤية، وإغلاق باب الاجتهاد بقوله: "هم لم يغيروا في الأدب شيئاً. وما كان أن يغيروا فيه شيئاً وقد أخذوا أنفسهم بالاطمئنان إلى ما قال القدماء وأغفلوا على أنفسهم في الأدب باب الاجتهاد كما أغفله الفقهاء في الفقه والمتكلمون في الكلام"<sup>2</sup>.

استناداً إلى هذا الفصل بين المنهجين في البحث، منهج علمي موضوعي ومنهج تابع للمعتقدات الدينية والقومية والسياسية.. يكشف طه حسين الكثير من ملابسات كل توجه في علاقته بنتائج؛ فمقاصد البحث العلمي مثلاً وغاياته منفصلة عن كل اعتقاد أو ميول عاطفي<sup>3</sup> وبالتالي يستوجب نقد هذا التراث وتحريره من أي فهم

<sup>1</sup> تجدر الإشارة إلى أن التيار التقليدي- الذي يمثلته الرافعي- حاول بدوره أن يحصر- الإشكال في ثنائية الإلحاد/ الإيمان التي قسمت المفكرين والأدباء إلى طرفين، طرف ملحد وآخر مؤمن، حيث إنه حاول جعل طه حسين منافقاً يتوارى خلف فكره الإلحادي.

<sup>2</sup> في الشعر الجاهلي، ص: 12.

<sup>3</sup> يكرر الرافعي هذا المعنى في مواضع عديدة أخرى: يقول مثلاً: كان القدماء مسلمين مخلصين في حب الإسلام، فأخضعوا كل شيء لهذا الإسلام وحبهم إياه، ولو عرضوا لمبحث علمي ولا لفصل من فصول الأدب أو لون من

**الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.**

المقدس، كنقطة انطلاق نحو إعادة البناء الفكري على أسس موضوعية ومنهجية تستند على الشك والمساءلة والتوسل بالمنهج الغربية البديلة لإحلال نهضة حديثة قوامها العقل.

### ب\_ الموازنة بين العرب والأمم الأخرى:

فَصَّل طه حسين نقده الموجه لمن درسوا تاريخ الأدب العربي ونتائجهم بعيدا عن مقارنته مع باقي الأمم، قبل أن يحاول تغيير رؤيتنا لذلك التاريخ، يقول: " لو درسوا تاريخ هذه الأمم القديمة، وقارنوا بينه وبين تاريخ العرب لتغير رأيهم في الأمة العربية، ولتغير بذلك تاريخ العرب أنفسهم"<sup>1</sup>

في هذا المثال يشترط طه حسين مقارنة تاريخ العرب مع باقي الأمم السابقة لتغيير الفهم السائد حول الأمة العربية، ويستوجب المعنى المضمر من الشرط ( لو درسوا ) انتفاء الاستفادة من الأمم السابقة، وبذلك يلزمهم بنتيجة مفادها: طالما انكم لم تدرسوا تاريخ العرب وتقارنوه مع من سبقكم من الأمم لم تصلوا إلى تاريخ عربي يعتمد عليه في الرجوع للكثير من القضايا؛ فمن خلال هذا الشرط يفهم المتلقي بمدى أهمية الموازنة والمقارنة التي يروم أن يؤسس عبرها تصورا جديدا لتحصيل المعرفة بتاريخ العرب، أو كما يقول يمكن أن يغير تاريخ العرب.

من هنا يبدأ طه حسين الحجاج بالمقارنة للكشف عن قصور التيار التقليدي في فهم وقائع التاريخ وسيرورته، فيقول أيضا: " وإذا كان هناك شيء يؤخذ على الذين كتبوا

---

ألوان الفن إلا من حيث إنه يؤكد الإسلام ويعزه ويعلي كلمته فما لاءم مذهبهم هذا أخذوه، وما نافرهم انصرفوا عنه انصرافا، انظر في الشعر الجاهلي، ص: 21.

<sup>1</sup> في الشعر الجاهلي، ص: 58.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

تاريخ العرب وآدابهم فلم يوفقوا للحق فيه، فهو أنهم لم يلموا بتاريخ هذه الأمم القديمة، أو لم يخطر لهم أن يقارنوا بين الأمة العربية والأمم التي خلت قبلها"<sup>1</sup> يعتبر طه حسين المقارنة بين مختلف الأمشاج شرطا أساسيا لتحصل المعرفة بتاريخ الأدب العربي، ويثبت من خلالها أن قضية الانتحال التي عرفها الشعر الجاهلي طالت آداب الأمم الأخرى أيضا، فلماذا لا يكون الأمر كذلك بالنسبة لانتحال الشعر الجاهلي ما دامت أوجه المشابهة تفضي إلى هذه النتيجة.

يقول تفصيلا لذلك: "إذ قدر للأمة اليونانية والرومانية في العصور القديمة مثل ما قدر للأمة العربية في العصور الوسطى، ككتاهما تحضرتا بعد بداوة، وكتاهما خضعت في حياتها الداخلية لهذه الظروف السياسية المختلفة، وكتاهما انتهت إلى نوع من التكوين السياسي.. وكذلك شأن الأمة العربية، تحضرت كما تحضر اليونان والرومان بعد بداوة وتأثرت كما تأثر اليونان والرومان بظروف سياسية مختلفة..."<sup>2</sup>

ويبدو أن طه حسين يريد أن يرسخ في الأذهان أن الانتحال شأنه شأن الظروف التي تأثرت بها الأمم الأخرى، ولا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم. لقد مكن استناده إلى هذه الموازنة التي شملت أمورا عديدة من تثبيت الشك، وذلك قياسا على اليونان والرومان اللتان عرفتا الانتحال أيضا، وأن الجيل العربي كغيره من الأمم يخضع ويتأثر بنفس القوانين العامة.

على هذا النحو حاجج طه حسين ليثبت صحة دعواه فيقول: "وإنما نريد أن نقول إن هذه الظاهرة الأدبية التي نحاول أن ندرسها في هذا الكتاب والتي يجزع لها أنصار القديم جزعا شديدا ليست مقصورة على الأمة العربية، وإنما تتجاوزها إلى غيرها من

<sup>1</sup> في الشعر الجاهلي، ص: 52.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 54.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

الأمم القديمة، ولاسيما هاتين الأمتين الخالدتين، فلن تكون الأمة العربية أول أمة انتحل فيها الشعر انتحالا وحمل على قدمائها كذبا وزورا.<sup>1</sup>

يسعى طه حسين من خلال هذا القول إلى تأسيس دعائم الشك في الشعر الجاهلي و بعض مسلمات التاريخ العربي من خلال الاستدلال الاستنتاجي الذي يضمه القول، فما دامت الأمتان الخالدتان، -بوصفه معرفة مشتركة لدى المتلقي، ولكون اليونان والرومان تمثلان رمزا للحضارة والتاريخ الحافل والمجيد والذي لا يحتاج إلى تعريف- عرفنا الانتحال والزور والكذب فما بالك بالأمة العربية. وعليه فاستجابة العرب لنفس المثيرات باستجابة مماثلة لليونان والرومان بحكم المشابهة بين مجموعة من الصلات تنتهي إلى نفس النتيجة المتعلقة بالانتحال ، يقول: وأنت تعلم أن حركة النقد هذه بالقياس إلى اليونان و الرومان لم تنته بعد، وأنها لن تنتهي غدا ولا بعد غد، وأنت تعلم أنها قد وصلت إلى نتائج غيرت تغيرا تاما ما كان معروفا متوارثا من تاريخ هاتين الأمتين وآدابهما<sup>2</sup>

إضافة ما سبق يسعى طه حسين إلى الإقناع بأسس منهج البحث القائم على مبدأ المقارنة والموازنة والذي يمكن أن يؤرخ لميلاد تاريخ عربي جديد، ويوصل لنتائج منطقية ومقبولة.

يقول أيضا: "قلت إن العرب قد خضعوا لمثل ما خضعت له الأمم القديمة من المؤثرات التي دعت إلى انتحال الشعر والأخبار، ولعل أهم هذه المؤثرات التي طبعت الأمة العربية وحياتها بطباع لا يحى ولا يزول هو هذا المؤثر الذي يصعب

<sup>1</sup> نفسه، ص: 55.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 55.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

تمييزه والفصل فيه؛ لأنه مزاج من عنصرين قويين جدا هما الدين والسياسة<sup>1</sup>، فهذه العلاقة التي يقيّمها طه حسين بين العرب والأمم الأخرى بمثابة استدلال منطقي مؤداه "أن العلة الواحدة إذا وجدت تحت ظروف مماثلة، أنتجت معلولا مماثلا. وشروط العلة هنا أن تكون مؤثرة في الحكم وأن تكون مطردة، أي كلما وجدت العلة في صورة من الصور وجد الحكم<sup>2</sup> .

وهو ما ينتج الاستدلال الآتي:

إن لكل ظاهرة سبب، وحيثما توفرت الأسباب سينتج نفس الظاهرة، أي: ما كانت العرب لتنتحل الشعر لولا توفر تلك الأسباب، والظروف السياسية والدينية والاقتصادية.. المماثلة لليونان والرومان.

إن امتزاج العنصرين ( السياسة والدين ) اللذين يساهمان في إخضاع التاريخ العربي والتحكم فيه يميز للمتلقي أن يفهم بأن التاريخ العربي انعكاس لوضع قائم يحاول أن يضمن استمراره في الحاضر عبر قضية الانتحال، ليكون ذاكرة جديدة منتحلة، خاضعة ومؤيدة لأوضاع وشروط متعددة وبالتالي فهو لا يعكس حقيقة الحياة الجاهلية.

كما أتاح ربط قضية الانتحال بالأمم الأخرى وبالبحث عن الأسباب التي دعت إليه، نقل النتائج المرتبطة بأحداث معلومة (ما عاشته اليونان والرومان من انتحال وتزوير..) للاستدلال عليها في قضية مشابهة في طور التقويم؛ وذلك بناء على

<sup>1</sup> في الشعر الجاهلي، ص:58.

<sup>2</sup> صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الانسانية، دار التنوير للطباعة، ط1، 2007، ص:34.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

استراتيجية المقارنة التي تروم ضبط الظواهر وفق المؤثرات، وهو توجه ينحو في اتجاه وضع قوانين عامة تخضع لها كل الأمم وبعيدا عن المصادفة<sup>1</sup>.

## خاتمة.

لقد حاول طه حسين من خلال كتابه "في الشعر الجاهلي" بأن يكون محايدا ومجردا في بحثه من كل الشوائب التي يمكن أن تحول دون الوصول إلى الحقائق، أو تجعله تابعا للتراث ومقدسا له، وأن يعتني بدل ذلك بالأحكام المنطقية والحجج التي تخاطب العقل وتحمل على الإذعان، بحيث يحدد جملة من المبادئ والأسس التي يتوصل بموجبها إلى أحكام منطقية، والتي من شأنها أن تُصحح الكثير مما ترسب في العقل العربي، وهذه الأسس هي التي حاول أن يبني عليها استراتيجياته الحجاجية لهدم تصورات التيار التقليدي، وبناء دعائم النهضة والتجديد على أسس عقلية وعلمية حتى يكون خطابه مقبولا لدى المتلقي وذا نسقية متماسكة، وليشهر بذلك عجز وإفلاس الأبنية الفكرية القديمة، وهو ما جعله يتوسل مجموعة من الاستراتيجية الحجاجية باعتبارها معيارا منهجيا وفكريا تقوم عليه المعرفة العلمية، وخطوة أساسية ل طرح مسوغات تروم الإقناع بانتحال الشعر الجاهلي. كما يحاول أن يؤسس لنمط

<sup>1</sup> تجدر الإشارة في هذا السياق إلى منهج ابن خلدون في البحث، حيث يقول: فإن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته، وفيما يعرض له من أحوال فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياته أعانه ذلك على تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ من التمحيص في كل وجه يعرض، انظر، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط2004، ص39.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

جديد من التفكير، يقوم على الشك في كل المسلمات المتوارثة، وذلك عبر توسله بمختلف الآليات الحجاجية المنطقية لمجاهة سلطة القديم وهيمنته، لكن رغم استناده إلى الحجج المنطقية والآليات النقدية الحديثة، ورغم قيمة الطرح الذي يقترحه، والمبادئ التي يقترحها لإعادة النظر في التراث العربي والشعري على وجه الخصوص، فإن حجاجه لم يخلو من فساد التعليل، كتشكيكه في الوجود التاريخي لسيدنا ابراهيم وإسماعيل المذكورين في القرآن الكريم، الذي يتنافى واستشهادته بنص القرآن الكريم في مواضع عديدة على قضية انتحال الشعر الجاهلي، حيث اعتبره في موضع آخر أصدق نص معبر عن الحياة الجاهلية، وبالتالي كيف يستقيم الاستدلال به وبقداسته وصدق تمثيله والتشكيك فيه في نفس الوقت؟

إضافة إلى التعميم، حيث ينطلق من عينات غير كافية لتمير النتائج التي يريد الوصول إليها، ونجد ذلك في استشهادته بحماد الراوي وذلك لتأسيس قاعدة مفادها أن الرواة كانوا معروفين بالمجون والإسراف في الفساد وهو ما يستوجب الشك في كل ما نقلوه إلينا من شعر عربي قديم.

مصادر الدراسة لمراجعتها:

— إدريس بن فرحات، المرجعية المحددة للآراء النقدية المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتاب الأدب وخطاب النقد، مجلة مقاليد، العدد السادس، 2014.

— صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الانسانية، دار التنوير للطباعة، ط1، 2007،

— طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار القلم، بيروت، ط1، 1974.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

- \_ عبد العزيز شرف، طه حسين وزال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.
- \_ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع.
- \_ أنور الجندي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار الاعتصام، ط2، 1988.
- \_ جابر عصفور، أنوار العقل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1996.
- \_ جنيفاف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبده الحلو، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1977.
- \_ سامي الكيلاني، مع طه حسين، دار المعارف، مصر، ط1989، 2.
- \_ سمير سعيد حجازي، النقد الأدبي المعاصر، قضاياها واتجاهاتها، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2001.
- \_ طروس محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- \_ طه عبد الرحمان، مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، ع 1987، 9.
- \_ عبد الرزاق عيد، طه حسين والعقل الحديث، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1995.
- \_ عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1977.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

- \_ عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، 2010.
- \_ علي صديقي، إشكالية التحيز في النقد العربي الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط2016.
- \_ غالي شكري، النهضة والسقوط في الفكر المصري، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1982.
- \_ كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر- بني أمية، طه حسين، دار المعارف، ط 2.
- \_ ماجد الجعافرة، أجد طلائفة، المرجعيات في النقد والأدب واللغة، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، علم الكتب، 2011،
- \_ ماجد السمرائي الثقافة والحرية، قراءة في فكر طه حسين، الأهالي للطباعة، سوريا، ط1996، 1.
- \_ محمد الكتاني، الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1982.
- \_ محمد الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، دار نشر المعرفة، الرباط. 2003.
- \_ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط2005، 1.
- \_ محمد حافظ دياب، النقد الأدبي وعلم الاجتماع، فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد الأول، المجلد الرابع، 1983.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

- \_ محمود حمدي الزقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار القلم، الكويت، 1983.
- \_ عيني العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، ط 1983.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط 2004، 1.
- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع.
- طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار سؤال للنشر، بيروت لبنان، 1929.
- عبد الفتاح أحمد يوسف، أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث، خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، دار الأمان، الرباط، ط 2015، 1.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

الأسس المنهجية والمنطقية للنقد التاريخي عند طه حسين.

أستاذ مشارك د. فاطمة سالم عمر العقيلي

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"  
دراسة نقدية للفقرات ( 168\_172\_176\_180 ) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

أستاذ مشارك د. فاطمة سالم عمر العقيلي /جامعة بنغازي .

الملخص :

يعتقد الكثير من الباحثين أنّ المؤرخ الإغريقي، هيرودوتوس (Hrodotos) ( 424-484 . ق.م أول من تحدث عن القبائل الليبية في كتابة المسمى التواريخ (1)، ولكن كان هناك من سبقه في الحديث عن هذه القبائل، وهو هيكتيوس الملتى Ἑκαταῖος ὁ Μιλήσιος (2) ولكن نظرا لافتقار المعلومات التي ذكرها هيكتيوس عن القبائل الليبية للنظام – أي من حيث ترتيب مواقع القبائل- أو للدقة في نقل أسماء هذه القبائل (3) تجعلنا نقدّم هيرودوتوس عليه، مقارنين بينهما كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ورغم تناثر الإشارات التي يوردها هيرودوتوس عن ليبيا في أجزاء كتابه التسعة، إلا أنّ تاريخ ليبيا كان له النصيب الوافر في الجزء الرابع، ولهذا جاز لبعض الكتاب المحدثين تسمية هذا الجزء بالكتاب الليبي أو (Libyan Log)، وذلك لأنّ حديثه عن ليبيا يبدأ من الفقرات 145" حتى 205" (4).

لقد ذكر هيرودوتس في مقدمة كتابه أنّ الغرض من تأليفه لهذا الكتاب هو تخليد الحروب الإغريقية الفارسية (5)؛ ولهذا تحدّث في كتابه الرابع عن الحملة الفارسية،

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للفقرات ( 168\_172\_176\_180 ) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

التي قدمت إلى إقليم ضد باركي بهدف الانتقام من قتلة تابعهم أركسيلاوس الثالث ، الذي سبق وأن أعلن ولاءه وتبعيته للملك الفارسي قمبيز عقب احتلال هذا الأخير لمصر عام 525 ق م (6)، ولكن يعود هيرودوتوس ليعطينا السبب الحقيقي ، الذي كان وراء قدوم الحملة الفارسية بقوله [.. هذا هو السبب الذي اتخذ ذريعة للحملة؛ بينما هي كما يبدو لي قد أرسل لإخضاع الليبيين؛ لأن قبائل الليبيين كثيرة ومختلفة وقليلٌ منها كانت خاضعة للملك، أمّا الأغلبية فلا تعير داريوس أي اهتمام] (7).

لقد خصص هيرودوتس في كتابه الرابع من التواريخ وتحديدًا الفقرات الممتدة من (168- إلى 190، للحديث عن القبائل الليبية، التي يسميها هيرودوتوس، قبائل البدو الرعاة (8) ، ولكن ما يهمنا من هذه القبائل هي الخمس قبائل، التي ذكرها هيرودوتس في كتابه، وهي التي تحدّث هيرودوتس عن بعض العادات الاجتماعية لديها واصفاً بأنّها كانت حياة المشاعية الجنسية ، وقبل أن نخوض في ما ذكره هيرودوتس، لابد لنا من [تحديد مواقع هذه القبائل وهي كالآتي:

#### ● قبيلة الأديرماخيدي: (Ἀδύρμαχίδαι):

هي أولى القبائل الليبية التي تقع غرب مصر، ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة عند هيرودوتس ، ثم عند سكولاكس ، وبليني الأكبر (9)، ويتفق كل من هيرودوتوس وسكولاكس على أنّ موطن هذه القبيلة يمتد من غرب دلتا النيل بمصر، وفي حين يرسم هيرودوتوس ميناء بليونس • كحدود غربية لهذه القبيلة ،

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية لفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

فإنّ سكولاكس يمدّ هذه القبيلة حتى أبيس \*  $\text{Απῖς}$  (10)، وفي القرن الأوّل ق م، يجعل المؤرخ بليني الأكبر من المنطقة المتاخمة لمصر، وتدعي ليبيا ماريوتيس (Mareotis Libya) مشغولة بثلاث قبائل هي الأديرماخيدي (Adyrmachidea)، والمريوتاي (Mareotee)، ثم المارماريدي (Marmarides) (11).

● قبيلة النسامونيس: ( $\text{Νασαμώνος}$ ):

ذكر هيرودوتوس "بأنّ هذه القبيلة قد قطنت الإقليم الواقع للغرب من قبيلة الأوسخيسي" (12)، ويحدد سكولاكس موقع هذه القبيلة "بأنّه كانت تعيش في الأجزاء الشرقية من خليج سرت الكبير جنوب غرب كيريناكي، وتمتد باتجاه الغرب حتى هياكل الأخوان فيلاني \*  $\text{Arae Philaenorum}$  (13)، أما إسترابو فإنّه يشير إليهم بقوله: "بينما يسمون من خلف كيريني، وخليج سرت الكبير، البسولوي ( $\text{Ψύλλοι}$ ) والנסامونيس"، ثم يعود في موضع آخر؛ لكي يشير إلى أنّهم "يقعون غرب قبائل المارماريدي، حتى هياكل الأخوان فيلاني" (14)، ويبدو أنّ معرفة الإغريق لقبيلة النسامونيس كانت جيدة، بدرجة جعلتهم يطلقون عليها لقب ميسامونس ( $\text{Mesammones}$ )، التي تعني القابعين وسط الرمال (15).

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

● قبيلة الجيندائيس: (Γινδάνων):

حدّد هيرودوتوس موقع هذه القبيلة "بأنه للغرب من قبيلة النسامونيس"، وقد أشار سكولاكس إلى هذه القبيلة باسم الجيزان (Ζύγάνων) ، ويبدو أنّ هذا الرسم لاسم هذه القبيلة قد ورد مرة لدى هيكايتوس باسم الجيزانتس (Ζυγαντίς)(16).

● قبيلة الماخلويس (Μαχλυείς) والأوسيس (Αύσέες):

يحدّد هيرودوتوس موطن قبيلة الماخلويس بقوله: (ويلي اللوتوفاغي، وعلى امتداد البحر الماخليس، وهؤلاء يستعملون اللوتس، ولكن أقل من المذكورين آنفاً، ويصل موطنهم إلى نهر كبير يسمى تريتون العظمي)(17)، أمّا قبيلة الأوسيس فيوطنها هيرودوتوس بقوله: "ويلي هؤلاء الماخلويس، قبيلة الأفسيس، ويسكن هؤلاء والماخليس حول بحيرة تريتون، ويفصل بينهما في الوسط نهر تريتون" (18).

● العادات الاجتماعية للقبائل الليبية من خلال ما ذكره هيرودوتس :

لقد تحدث هيرودوتوس في كتابه الرابع، وفي معرض حديثه عن القبائل الليبية عن بعض العادات الاجتماعية \_تحديداً في الزواج\_ التي عرفت بها بعض القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة ، وقد ردّد الكتاب الكلاسيك اللاحقين ذلك في كتاباتهم حيث تم وصف هذه القبائل بأنها كانت تحيا حياة المشاعية الجنسية ، وقد جاءت هذه العادات في كتاب هيرودوتس كآتي:

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

في حديثه عن قبيلة الادييرماخيدي (Αδυρμαχιδαί) أول القبائل الليبية القاطنة عند الحدود الليبية المصرية ذكر هيرودوتس بأن أفراد هذه القبيلة كانوا "يقدمون العذارى المقبلات على الزواج للملك؛ ليعاشر من تنال إعجابه منهم وتُنقَض بكارتها من قبله..." (19).

إما عن قبيلة النسامونيس (Νασαμῶν) فيقول: "كما اعتادوا أن يكون لكل واحد عدة زوجات، ولكن يجعلون معاشرتها مشتركة بينهم بأسلوب يشبه المساجيتي (Μασσαγεταί)\*، حيث ينصبون عصا أمام المكان ويتعاشرون، فضلاً عن أنه عندما يتزوج رجل من النسامونيس لأول مرة، فإنه كان من العادة أن تضاجع عروسه جميع المدعويين، ويمنحها كل واحد منهم، بعد أن يعاشرها هدية." (20).

لقد ذكر هيرودوتس بخصوص قبيلة الجيندائيس (Γίνδαεs) مايلي: "... وكل واحدة من نساء هؤلاء تلبس حلقات جلدية كثيرة حول الكاحل للسبب التالي، كما يقال فإنها تلبس حلقة عن كل رجل تعاشره، التي يكون لديها أكثر حلقات ينظر إليها بأنها ممتازة، أو (الأفضل) أنه أحبها عدد كثير من الرجال..." (21).

وعن قبيلة الماخلويس (Μαχλυείs) الأفيسيس (Αυσεεs) ذكر "... ويجعلون النساء مشتركة بينهم، ولا يتزوجون بل يعيشون كالحوانات، وعندما يكبر

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

الطفل لأي امرأة فإنّ الرجال يجتمعون في مكان ما، ويعتبر الطفل ابنًا للرجال الذي يشبهه... " (22) .

وقد برز تأثير كتاب الإغريق والرومان بما ذكره هيروdotوس واضحًا في كتاباتهم، حيث ذكر الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس (Aristotle) في كتابه السياسة (Politics) بأنه: "... في ليبيا العليا حيث النساء على الشيوخ بين الرجال، فإنّ الأولاد الذين ينجبون ينسبون إلى آبائهم على أساس المشابهة بين الآباء والأبناء، فينسب الود إلى من يشبهه من الرجال..." (23) .

أما بليني الأكبر (Pliny) فقد ذكر بأن "... القرامنتيس لا يمارسون الزواج ولكن يعاشرون نساءهم مختلطين." (24) في حين يكرر بومونيوس ميلا Pomponii Melae، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ما ذكره هيروdotوس عن قبيلة النسامونيس (Νασαμώνες) والغيندائيس (Γίδαιες)، ولكن يورده عن كل من قبيلة الأوجيلي (Augilae) أي سكان أوجلة\*، وكذلك عن قبائل القرامنتس Garamantas، فذكر عن قبيلة الأوجيلي "أنّه كانت من العادة أن تسمح العروس عشية زفافها لمن أراد أن يتمتع بها أن يفعل ذلك مقابل أجر معين، وأنّ ذلك يعتبر تكريمًا لها، ولكنها كانت بعد ذلك تظل مخصصة لزوجها" (25).

أما عن القرامنتيس فيقول: " وهم يعتبرون النساء متاعًا مشاعًا بينهم، ويعتبرون الأبناء الذين يتوالدون من مثل هذا الجماع أبناء لأكثر الرجال الذين جامعوا أمهاتهم

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

شبهًا" (26)، وفي القرن الثالث الميلادي ذكر الجغرافي جايوس سولينوس Gaius Solinus في كتابه بوليهاستور Polyhistor أنّ الجرمنطيس لا يعرفون نظام الزواج و لكنهم يسمحون للجميع بإقامة علاقات جنسية مشتركة. ومن ثم فإنّ الأمهات فقط يتعرفن على أبنائهن" (27).

#### ● التحليل والنقد :

أستعرضنا فيما سبق مذكره الكتاب القدامي عن العادات الاجتماعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة، وقبل مناقشة هذه الأقوال نسجّل الآتي:  
إنّ هيرودوتوس الذي يُعدّ أوّل من تحدث عن القبائل الليبية لم يقم بزيارة هذه القبائل الليبية واحدة واحدة؛ للوقوف على حقيقة المعلومة التي وصلته عن طريق الإغريق بأسلوب (العنينة) بمعنى أنّ هيرودوتوس قد استقي معلوماته من القبائل الليبية من بعض الإغريق في إقليم كيرناتيك، ولا نعرف الكيفية التي حصلوا بها عن هذه المعلومات، ودرجة فهمهم واستيعابهم للعادات الاجتماعية عند القبائل الليبية ، وعليه فإنّ وقوعه في خطأ نقل المعلومة والاجتهاد مؤكّد.  
وفي السياق نفسه نجد أنّ الكتاب الإغريق والرومان اللاحقين لهيرودوتوس قد اعتمدوا في كتاباتهم بالدرجة الأولى على ما ذكره هيرودوتوس حول القبائل الليبية ، ويبدو أنّ فكرة الإباحية عند القبائل الليبية كانت قد شاعت، وأصبحت من المسلمات التي لا تناقش ولهذا قاموا بترديدها دون مناقشتها أو التأكّد منها.

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

ويتفق كلٌّ من (O. Bates) و (S. Gsell) على اعتبار ما ذكره الكتاب القدامى عن وجود إباحية جنسية لدى القبائل الليبية هو خطأ وقعوا فيه نتيجة لعجزهم عن تفهّم ظاهرة تعدد الزوجات، حيث اعتادوا على اتّخاذ زوجة واحدة (28)، كما أنّ قراءة متمعنة لما ذكره هيرودوتوس عن العادات الاجتماعية لدى القبائل الليبية تبين وقوعه في تناقض وسوء فهم، وربما خطأً في نقله للمعلومات، الذي يمكن أن يفنّد كل ما ذكره.

ففي حديثه عن قبيلة النسامونيس يذكر [ بأنّه من عاداتهم أن يتّخذ كل رجل زوجات عدة]، ثم يقول [ وكان الرجل عندما يتزوج للمرة الأولى ... ] إذن كان أفراد قبيلة النسامونيس يعرفون نظام الزواج، وليس هذا فحسب، بل مارسوا زواج أحادي وتعددي (29)، إذن وجود فكرة الزواج في هذه القبيلة والتعددية تدحض فكرة الإباحية نفسها، لأنّه من غير المعقول أن يكون هناك مجتمع يسمح للرجل بالزواج عدة مرات، وتنتشر فيه الإباحية، ولا يمكن أن تقبل التفسير الذي قدمه (S.Gsell) من "أنّ معاشرّة أفراد القبيلة للعروس تؤكد على وجود نظام الاشتراكية في كل شيء، وهي تعني اقتطاع الجماعة لحقها من العروس، قبل ممارسة الفرد لحقوقه" (30).

أمّا ما ذكره هيرودوتوس عن الحلقات الجلدية التي كانت تضعها نساء قبيلة الغيندائيس في أرجلهن، فإنّه يبدو غير متأكد مما ذكره ، بدليل قوله [ ... السبب التالي كما يقال ... ] (31)، وهذا في حد ذاته ينفي ما ذكره، ولا شك في التفسير الذي

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

ذكره هيرودوتوس لارتداء نساء قبيلة الماخليس للحلقات الجلدية ، قد سمعه من أحد الإغريق الذين زودوه بمعلومات، الذين يجهلون أمر هذه الحلقات، فقد كان الغرض الأساسي من ارتدائها هو للزينة، وتعود معرفة الليبيات لهذه الحلبة إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث أظهرت الرسوم الصخرية في "وان ميل بالاكاكوس" مشهد لامرأة ترتدي ثوبًا شفافًا، ويكشف عن زوج من الخلاخيل الجلدية تحليان الرجلين (32).

ويشير أحد الباحثين إلى " أنه لم تكشف المخلفات الأثرية اليونانية والرومانية عن أي تمثال واحد لمرأة تحمل الخلاخيل في الساق، ومن أي نوع، ولم تقف في أن مصدر كلاسيكي قديم على أية إشارة لحلبة الرجل هذه، فهي حلبة إفريقية شائعة حتى هذا الزمن، وهي لدى الطبقة المتوسطة الدخل من الفضة، وفي طبقة الأثرياء من خالص الذهب، ولعل جمل هيرودوتوس بأن تلك الحلبة كانت ترتديها المرأة ذات الزوج. قد أوقعه في خطأ الاجتهاد... " (33).

ولعل ما يدعم ما سبق، هو أن هيرودوتوس قد ذكر في معرض حديثه عن قبيلة الاديرماخيدي [ ... أن نساء هذه القبيلة كانت ترتدي حلقات برونزية في كلتي الساقين ... ] (34) ولكنه لم يرد هذا الأمر إلى ممارسة نساء هذه القبيلة للإباحية الجنسية، ويبقى أن نشير إلى أن ارتداء حلبة الخلاخيل لم تكن قاصرة على نساء القبائل الليبية فقط، بل ارتدتها النساء القرطاجيات وكانت من الذهب والفضة

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للقرات ( 168\_172\_176\_180 ) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

والبرونز، وقد كشفت الحفريات الأثرية في قرطاج عن أعداد كبيرة من الخلاخيل (35).

أما ما ذكره هيرودوتوس عن قبيلة الأفييس فلا يمكن قبوله، لأن هيرودوتوس يقول في الفقرة نفسها [...] وخلال حفل سنوي يقام لأثينا تنقسم عذاراهم فريقين يجارب أحدهما الآخر بالحجارة والهراوات، ويقولون أنهم يؤدون ذلك وفقاً لعادة محلية على شرف الربة المحلية التي نحن ندعوها أثينا، وتُعدّ الفتيات اللاتي يمتن نتيجة الجروح غير عذاري...، فكيف تنتشر الإباحية داخل قبيلة كانت تُنزل عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين إنها كانت فاقدة لعذريتها...؟ (36).

ويتفق (S. Gsell) مع (O. Bates) ويقول "إنّ كانت هذه القبيلة تمارس المشاعية الجنسية، فلماذا كان أفرادها مهتمون بنسب الأطفال الذين يكونون نتاجاً لتلك الإباحية؟، وإذا كان ذلك المجلس ينعقد ليحقق علاقة أبوية ما بين الأطفال والآباء فإن هذا يدل دلالة كبيرة على وجود نظام أسري لدي هذه القبيلة"، وبالتالي ينفي فكرة المشاعية عنها (37).

وبالانتقال إلى ما ذكره هيرودوتوس عن قبيلة الأديرماخيدي من "أنهم يقدمون العذاري المقبلات على الزواج للملك ليعاشر من تنال إعجابه منهن وتُفصّ بكارتها من قبله.. (38) فإنه يتضح أن هيرودوتوس لم يستطع فهم هذه العادة الاجتماعية - التي نقلت إليه ربما - ومن ثمّ أساء تفسيرها، ومما يدل على هذا الأمر هو أنّ النصوص المصرية قد أكدت على تعدد الزوجات لدي الأمراء والرؤساء الليبيين

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

\* هذا من جهة ومن جهة أخرى تؤكد فكرة العرض - أي عرض الآباء لبناتهم على الملك (39) أن الملك أو زعيم القبيلة كان يتزوج من الفتيات اللاتي ينلن إعجابه، خاصة وأنه لم يكن هناك عدد محدد لزوجات الملك (40)، وبالتالي لا يمكننا قبول ما ذهب إليه بيتس (O. Bates) " من أن تلك العادة ترتبط تنوع من الخوف الديني من تحمل المسؤولية الناجمة عن إزالة البكارة" (41) .

وإذا انتقلنا إلى ما ذكره كل من بليني وبومبونيوس ميلا من وجود الإباحية الجنسية لدى قبيلة القرامنتيس والأوجليين (42)، فإنّ لدينا عدة أدلة تنفي ذلك منها أنّ هيرودوتوس، الذي يُعدّ أول من تحدّث عن القبائل الليبية، وقبيلة القرامنتيس خاصة لم يشير إلى المشاعية لدى هذه القبيلة، إنما ذكر بأنهم [قوم كثيرو العديد..] (43)، أما القرينة الثانية فهي أنّ الجغرافي إسترابو قد ذكر بأنّ لدى القرامنتيس [ ... زوجات وأولاد كثيرون... ] (44) وقد كشفت الحفريات الأثرية في المقابر الملكية عن أعداد ضخمة لقبور النساء ؛ مما دفع بعض الباحثين على التأكيد على وجود نظام تعدد الزوجات، لدى القرامنتيس (45) .

لقد عرف الليبيون قواعد وأسس نظمت العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، وخاصة عادات الزواج وتكوين الأسرة، فقبل الزواج حرص الليبيون على بقاء بناتهم عذاري وحالوا بينهم وبين الاختلاط مع الرجال، وقد ذكر نيكولاس الدمسقي (Νικόλος ὁ Δαμασκνός) [ ... بأنّ أفراد قبيلة الأتارانتس (Ἀτάραντες)، كانوا يعتقدون أنّ أفضل الفتيات هي التي تبقى عذراء

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

أطول وقت ممكن] (46) ، وقد بلغ الحرص بقبيلة الإفيسيس إلى حد إنزال عقوبة الموت بالفتاة المشاركة في الاحتفالات الدينية، إذا تبين لهم أنّها فاقدة لعذريتها (47). ويشير أحد الباحثين المحدثين إلى أن ما ذكره هيروودوتوس عن الاحتفال السنوي الديني الذي كانت تقيمه قبيلة الإفيسيس لمعبودتها المحلية (48)، قد استمر بشكل أو بآخر لدى سكان الدواخل في ليبيا، حتى وقت قريب ، حيث ذكر أنّه وحتى عام 1954، كان يقام في غات Ghat والبركت ، Al Barkat وفزان Fazzan\* في يوم السابع والعشرين من رمضان من كل سنة، حفل يسمى حفل الملح، وفيه كانت الفتيات غير المتزوجات، وبعد ارتدائهن لأجمل ثيابهن، وكامل حلّين يخرجن بعد أن تتسلح كل منهن بعضاً، أو سوط (مجلاد) مع ارتدائهن لأحزمة متقاطعة على الصدر والخصر، حيث يسرن على أنغام الموسيقى إلى مكان جمع الملح ، وبعد جمع الملح تتقارب مجموعات غات والبركت، حيث تجري معركة بين الفتيات سرعان ما تأخذ نمطاً إيقاعياً، ثم تبدأ امرأتان متقدمتان في السن بفحص عذرية الفتيات (48) .

وعلى الرغم من الفترة الكبيرة التي تفصل بين الفترة التي تحدث فيها هيروودوتوس عن احتفال الأفسيس، وبين هذه الرواية – إلا أننا نرى فيها دليلاً كبيراً على حرص متوارث لدى الليبيين على عذرية بناتهم، ومن ثمّ ينفي فكرة الإباحية الجنسية عنهم. ويتبين من فقرة عن قبيلة الماخليس أوردها نيكولاس الدمسقي بأنّ للمرأة في القبائل الليبية الحق في اختيار الزوج، حيث ذكر بأنه في (قبيلة الماخليس

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

(μαχλυείς) [...] عندما يخطب العديد من الرجال امرأة، فإنهم يتناولون الطعام بحضور الصهر- أو قريب المرأة - والمرأة، ويتبادلون الكثير من النكت، الذي يستطيع إضحائها- بحديثه ونكته- هو الذي يتزوجها] ، ويتضح مما سبق أن المرأة لم تكن تجبر على الزواج في حالة لم يعجبها أي من المتقدمين لخطبتها، وأن دور الصهر كان يقتصر على حضور المجلس فقط، دون لعب أي دور(49).

لقد عرف اللييون نظام الزواج الأحادي والتعددي، الذي إذا صدقنا ما أورده بروكوبيوس القيصري، فقد يصل إلى خمسين زوجة (50)، ولكنهم كانوا حريصين جدًا على صحة نسب أطفالهم، وقد أتبعوا أسلوب فريد في إثبات نسب الأطفال- لم يسبق أن سمعنا به في التاريخ القديم- وفي هذا الصدد يقول بليني في معرض حديثه عن قبيلة البسولوي (Pssillo): "... وكان من عاداتهم أن يعرضوا الطفل بعد ولادته مباشرة لأشرس الأفاعي، فإذا تجنبته الأفعي كان ذلك دليل لصحة نسبه، وإثباتًا لوفاء الزوجة..". (51) ، وقد أكد أيليان (Aelian) هذا الأمر حيث ذكر بأن أفراد قبيلة البسيلي " يختبرون صحة نسب أطفالهم بواسطة الزواحف والثعابين والعقارب " (52) .

وقد أشار سيلوس اتاليكوس (Silius Italicus) إلى وجود هذه العادة عند قبيلة النسامونيس (Nasamones) حيث يقول " ويختبرون أطفالهم بالأفاعي من غير ضمان النتائج - من حدوث انغراس أنياب الأفاعي عند مرورها بجانبهم " (53)، ولكي ندرك مدي الخلط وعدم الفهم لدي بعض الكتاب القدامي في ما يتعلق

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

بالقبائل الليبية، نورد كمثال ما ذكره الرحالة الإغريقي باوزايناس الذي قال: " إن الإترانتيس Ἀτάραντες، الذين يدعونهم هيرودوتوس بهذا الاسم ليسوا في الواقع غير النسامونيس، وهم الليبيون الذين يعيشون بعيداً عن جبل أطلس..." (54).

الخاتمة :

من خلال استعراضنا لما ذكره هيرودوتس بخصوص بعض العادات الاجتماعية، التي عرفتها بعض القبائل الليبية في إقليم الليبين البدو الرعاة نخلص للآتي :

لقد كشفت المعلومات الواردة عند الكتاب الكلاسيك عن أنّ جلّهم لم يقوموا بزيارة مواطن هذه القبائل، وأنّ معلوماتهم عنها، قد نقلت أغلبها بطريقة شفوية أي بأسلوب العنونة، ومن خلال تجار وبجارة وأقوام مجاورة لليبين، ولهذا طال الكثير منها الخطأ والتحريف وأضيف لها الكثير من الأساطير والخرافات، كما جاءت التفسيرات التي قدمها هيرودوتس عن عادات المجتمع الليبي، منطلقة من كونه إغريقي اعتاد الزواج الأحادي ومن ثمّ لم يكن من المستغرب أن يفسر تعدد الزوجات لدى الليبيين وهو التعدد الغير محدد بالعدد على انه مشاعية جنسية، رغم تأكيد على معرفة القبائل لنظام الزواج.

كما أظهرت الكثير من المعلومات التي أوردها هيرودوتس عن أنه قد أوردها بدون أن يتحقّق منها ويتحرّى الصدق فيها من عدمه، أضف إلى ذلك أنه كان يقدم تفسيرات لبعض العادات، وغالبا ما يستخدم أسلوب التشويق وجذب القاري أو

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

المستمع، بتقديم كل ماهو غريب عن الحضارة الهلينية التي ينتمي هو إليها، ونحن نعلم أنّ هيرودوتوس قد قام بإلقاء تاريخه والواقع في تسعة كتب في يوم واحد، في ساحة أثينا، وقد جاء الكتاب اللاحقين ليكررو مارواه هيرودوتس بدون فحص او تدقيق؛ لهذا يجب علينا عند التعامل مع هذه المصادر أن نتعامل بحذر فيما ترويّه لنا من معلومات خاصة؛ كونها وجهة نظر أحادية يقابلها غالباً الصمت من الجانب الليبي .

الهوامش:

1\_J. Lacarriere: Hérodote et la découverte de la terre. Artbaud, Paris 1968, PP 221- 229; J, Myres: Herodotus Father Of History . Oxford 1963, P 34, H.R. Tmmerwahr; from And Thought in Herodotus. William Clows Limited .London 1996

2\_ هو هيكاتيوس ابن هيكاسندر من مدينة ميليتوس عاش سنة 500 ق.م، ويُعدّ من أقدم المؤرخين الإغريق الذين كتبوا باللهجة الأيونية، وضع خارطة للعالم بعد قيامه برحلة، جاب فيها العالم القديم آنذاك، تمثلت أعماله في كتابين الأول، ويقع في 30 جزء وقد وضعه لوصف البلدان والسكان التي زارها في رحلته، وربما للتأكيد على

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للقرات ( 168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

أستاذ مشارك د. فاطمة سالم عمر العقيلي

صحة الخارطة التي وضعها، وقد تحدث في الجزء الأول من كتابه عن أوروبا وفي الجزء الثاني عن آسيا و أفريقيا وقد استقى هيرودوتوس. راجع:

N.G.L.Hammond, and H.H. ScvIIard: The Oxford Classical.

Second Edition, Clarendor Press, Oxford, 1970, P490

3\_\_ Hacataei: Fragmta Historicorum Grecorum. Vol II,

MuIIer 1841, PP 1-22.

4\_\_ على فهمي خشيم: نصوص ليبية (دار مكتبة الفكر، طرابلس، الطبعة الثانية، 1975) ص 16.

5\_\_ Herodotus, The History's , Trans by A. D. Godley, London, Cambridge Mass, Harvard University Press, 1996;

هيرودوتس ، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس، ترجمة محمد النويب ، منشورات جامعة بنغازي، الطبعة الأولى ، 2003.

6\_\_ Herodtus IV, 164; A. Noshy, Arcesilaus III, Libya in History, Historical conference 23 March, Benghazi, 1968,p72.

7\_\_ Herodotus: History's , IV, 167.

.8\_\_ Herodotus: , IV, 168- 190

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

9\_ Herodotus, lv 168, Scylaxis Caryandensis, periplus. Trans by B. G. Muller, 1982, 108, Pliny, Natural History, Nautical History. Trans by H. Rackham, M. A. London, 1947, V,39.

\* أي من غرب دلتا النيل، حتى منطقة سيدي براني.

\*\* أيس، هي زاوية الزخم، إلى الشرق من السلوم.

10\_ Herodotus, IV, 168, Scylaxis,108.

11\_ Pliny, Natural History, VI, 39.

12\_ Herodotus, IV,172

13\_ Scylax, Periplus, 109.

14\_ Strabo, Geograph, Trans by Horace. London, 1949,II,5,23;XVII,3,20\_23.

15\_ Pliny, Natural History,V,34.

16\_ Herodotus, IV, 177; Scylax, Periplus , 110.

17\_ Herodotus, IV, 178

18\_ Herodotus, IV,180.

19\_ Herodotus, IV,168 .

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للفقرات ( 168\_172\_176\_180 ) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

\* المساغيتي (Μασσαγεταιί) إحدى الشعوب الآسيوية القديمة، وعنهم ذكر هيروdotوس بأن لكل واحد منهم زوجة، ولكن يمكن لمن يرغب من الآخرين أن يستمتع بها أن يعلق جعب سهامه أمام البيت. انظر: Herodotus, 1, 216.

20\_ Herodotus, IV, 172

21\_ Herodotus, IV,178.

23\_ Herodotus, IV,180.

24\_ Aristole, Politics. Trans by H, Raknam, London, 1955, II, 1262, 20-25.

25\_ Pomponius Mela, Chorographia, from Pomponius Mela's Description of the World, translated by Frank E. Romer, University of Michigan Press, 1998,I,46.

26\_ Pomponius Mela, Chorographia,I,45.

27\_ Gaius Iulius Solinus, the Polyhistor, translated by Arwen Apps, PhD diss., Macquarie University, 2011,XXX,2.

28\_ O. Bates, The Eastern Libyans... PP 110- 111; S. Gsell, .Histoir Ancienne de

L'Afrique du Nord, " Les Reyeumes indigenes Oranisation

.Sociale Poltitique et Economque, vol, V, (Paris, 1927), P. 30

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

29\_ Herodotus, IV, 172.

30\_ S. Gsell, op. cit, pp.30\_31 .

31\_ Herodotus, IV, 176.

32\_ فابريتشير موري: نادرارت اكاكوس، الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، وفؤاد الكعبازي، منشورات مركز دراسة جهاد العرب الليبيين، طرابلس، 1988، ص 132، شكل 184.

33\_ محمد مصطفى بازامه، سكان ليبيا في التاريخ، الكتاب الأول، عصور ما قبل الإسلام، دار الحوار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994، ص 202، هامش (1).

34\_ Herodotus, IV, 168;

قارن أيضاً: رجب الأثرم، هيروودوتوس والليبيون، ص 57.  
35\_ مادلين هروس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم باكش، (منشورات عوايدات، بيروت، الطبعة الأولى، 1981)، ص 116.

36\_ Herodotus, IV, 180.

37\_ O. Bates, Op. Cit, PP 110-111.

38\_ Herodotus, IV, 168.

\* جاءت أول إشارة صريحة عن معرفة الليبيين لنظام تعدد الزوجات، حيث ذكرت نقوش الفرعون مرنتاح من الأسرة التاسعة عشر خبر وقوع نساء الأمير الليبي مري

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

بن دد في الأسر مع أبنائه الستة، ويقول النص " نساء خاس لوبيا المهزوم اللائي أحضرهن معه أحياء 12 امرأة لوبية."، وقد أوردت نصوص رمسيس الثالث (وسر. رع. مر، أمون (1192-1160 ق.م) أشارت عدة عن نساء قبيلة المشوش اللائي وقعن في الأسر، منها [...] وارتبي تحت أقدام جلالته - ويقصد به كبير بي دد زعيم قبيلة المشوش - وأولاده، وأهل قبيلته وجيشه قد أضحوا لا شيء، وعيناه لن تريا وجه الشمس وجنوده المحاربون قد اسروا [...] ونساؤهم وأطفالهم ... ] و [...] وقد سيقوا في السلاسل أسرى وكذلك نساؤهم." راجع: سليم حسن، مصر القديمة، دار الكتب الوطنية، القاهرة، 1950، الجزء السابع، ص 95 .؛ E. Manchip, and white, Ancient Egypt second Edition compton printing Ltd, London, 1970,p 186.

39\_ Herodotus, IV,168.

40\_ ذكرت بعض المصادر بأنه عندما توفي ماسينسا في الثالثة والسبعين ترك ثلاثة وثلاثين ولداً ، ولاشك في أن هؤلاء الأولاد كانوا نتيجة لزيجات عدة انظر، Appians: The Punic Wars, Trans by H. White; M. A, IID (London:Cambridge, Harvard University Press 1964, 106.

41\_ O, Bates, Op. Cit, P111.

42\_ Pliny, V, 8, 45; Pompinus Mela, 1, 8, 45 .

43\_ Herodotus, IV, 183 .

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"

دراسة نقدية للقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس"

44\_ Strabo, XVII, 3, 19 .

45\_ محمد سليمان ايوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراقي للنشر، طرابلس، 1969، ص 155.

46\_ Nicolaus Damascenus, FHG... Vol 3, P 462.

47\_ Herodotus, IV,180.

\* تقع غات في الجنوب الغربي من الجماهيرية الليبية على خطى عرض 26- 24، أما البركت فتقع إلى الجنوب من مدينة غات بثمانية كيلومترات حيث يحدها م الشرق مرتفعات الأكاكوس ومن الغرب الحدود الجزائرية، راجع: أمانة التخطيط، الأطلس الوطني للجماهيرية الليبية، (شركة إيسليت لخدمة الخرائط، السويد، الطبعة 1، 1978) ص 14.

48\_ Camps, Aux Origines De La Barberie Massinissa ou les de L'Histoire Libyca Bulletin of the eservice d'Antiquites of Algeria. Direction de Intevieur et des Beaux Art's Algiers, Paris, 1961,p22.

49\_ Nicolaus Damascenus, FHG, vol3 , p 462 .

50\_ Procopius of Caesarea, History of The wars .Trans by A. G. way, London, 1954, IV, 9, 13.

51\_ Pliny, VII, 2, PP 13- 16 .

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً "

دراسة نقدية للفقرات (168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

52 Aelian, on The characteristics of Animals. Trans by A. F. Scholfield, London, 1958, XVI, 25- 28 .

53\_ Silius Italicus, 1, 410- 415.

54\_ Pausanias, Description of Greece. Trans by Jons, W. H. S, and Wycherley, London, 1955, Discription of Greece, XXXV, 5-6 .

" المشاعية عند القبائل الليبية في إقليم البدو الرعاة نموذجاً"  
دراسة نقدية للفقرات ( 168\_172\_176\_180) من الكتاب الرابع لهيرودوتس "

الأستاذ الدكتور صالح حسن المسلوت

التفسير التاريخي عند المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة 1795-1886م

الأستاذ الدكتور صالح حسن المسلوت  
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر / جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

كل تاريخ لتطور علم التاريخ نقرؤه في كتب غربية لا بد أن يكون بالضرورة ناقصًا إذ أن هذه الكتب تسقط من الحساب - كليًا أو جزئيًا- الدور الضخم والمهم الذي قام به مؤرخونا المسلمون في تطوير هذا العلم، وما نقول هذا مجاملة منا لمؤرخينا المسلمين بل نقوله لأنه حق فلا جدال في أن المؤرخين العرب والمسلمين قد وصلوا في هذا العلم إلى شأو يضارع أحسن ما وصل إليه الغربيون إلى أواخر القرن التاسع عشر على الأقل بل إذا كانت مدرسة الوثائقيين وأهل التوثيق الكامل في الغرب وهي مدرسة (ليوبولد فون رانكة) و(ياكوب بوكهات) هي ذروة ما وصل إليه العلم التاريخي في القرن التاسع عشر فإن مؤرخينا المسلمين بدءوا من هذه النقطة، بدءوا على طريقة المحققين المدققين الذين لا يرون خبرًا إلا اعتمادًا على سند متين موصول من رواة ذوي صدق وأمانة وساروا بعد ذلك على مناهج علمية جديدة بكل تقدير ولهم فضل كبير جدًا في تطوير علم التاريخ ولكن مؤرخي الغرب ساروا على مبدأ أن العلم كله غربي وفي ميدان التأريخ يبدءون عند هيرودوت وينتهون عند توينبي ومن إليهما.

وإلى منتصف القرن السابع عشر كان التاريخ في الغرب فرعًا ثانويًا قليل الأهمية ولم يكن في الغرب إلى ذلك الحين شيء يمكن تسميته علم التاريخ وإنما كانت هناك

التفسير التاريخي عند المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة 1795-1886م

المدونات وشيئاً فشيئاً من أوائل القرن الثامن عشر أخذ علم التاريخ يستقر على قواعد وأصول فنية علمية خرجت به شيئاً فشيئاً أيضاً من مجال الأدب والفلسفة إلى أرض العلم المنهجي وولد علم التاريخ في الغرب وقد ارتبط ميلاد هذا العلم التاريخي في الغرب بأسماء مثل (جيبون وفولتير ومونتسكيو وجان جاك روسو وفون رانكة) وغيرهم. وقد تمثلت الثورة في ميدان النقد التاريخي في الحركة الشاملة البعيدة المدى التي قامت بها مدرسة برلين وطلبتها (نيبوه) Niebuhr وقائدها ليوبولد فون رانكة Leopold Von Ranke (1795-1886م) الذي عمّر فوق التسعين عاماً عاملاً نشيطاً في ميدان النقد التاريخي وهو من أوائل من قصرُوا جهدهم كله في هذا الميدان ووصفوا في الغرب بأنهم مؤرخون<sup>(1)</sup>.

ولكن الفضل في هذا التطور الشامل في علم التاريخ لا يرجع إلى الألمان بل سبقهم إليه مفكرون أوروبيون آخرون أشهرهم جامبا تيسستا فيكو (1668-1774) كان ذا فكر لماح مكن له من أن ينظر في التاريخ نظرة هي أعمق مما فعله (رانكة) فقد نظر إلى التاريخ نظرة عامة وقسمها إلى ثلاث:

الأولى "إلهية" أي العصر الذي كان الناس يردون كل الأحداث إلى صنع الآلهة.

الثانية "بطولية" كان التاريخ فيها سرداً لأعمال وعظماء الرجال.

الثالثة "إنسانية" وهي التي انتبه المؤرخون فيها إلى أن التاريخ الحقيقي هو الذي

تصنعه الجماهير والشعوب<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من بساطة هذا التفكير وسداجته فإن المؤرخ الإيطالي (فيكو) يعد

في الغرب أول من نظر إلى التاريخ العالمي نظرة عامة.

ولقد كان لكتابه أثر بعيد في أوساط المؤرخين إلى نهاية الحرب العالمية الأولى وربما كان أثره مباشرًا عند رجل مثل (يوهان جوتفريد هيردر) (1744-1803) الذي كان بحق مؤسس المدرسة الألمانية في علم التاريخ وألف فيه كتبًا تعتبر معالم على طريق علم التاريخ الحديث وخاصة كتابه (آراء في فلسفة تاريخ البشر) ورسالته المسماة (فلسفة لتاريخ بناء الإنسانية).

لقد كان (هيردر) موسوعيًا بحق وتقوم فلسفة التاريخ عنده على القول بأننا لا بد أن ندرس الماضي لنفهم مشاكل اليوم والغد، وقد قال: إن المؤرخ ينبغي أن يحس العصر الذي يؤرخ فيه إحساسًا مباشرًا وقال إن هذا الإحساس المباشر هو الحاسة التاريخية، كما قال بأن التاريخ يخضع لقوانين كتلك التي تخضع لها الأشياء الطبيعية وقال بأن التاريخ يسير في خط تقديمي واحد<sup>(1)</sup>.

وكان (هيردر) بعمله هذا فاتحًا لعصر جديد زاهر في تأريخ العلم التاريخي انتهى باعتباره علمًا قائمًا بذاته له أصوله وقواعده وكراسيه وأقسامه في الجامعات. والفضل الأكبر في ذلك يرجع إلى ليوبولد فون رانكة.

ولد رانكة في 21 ديسمبر 1795 في بلدة (فيهي) Wihe في مقاطعة تورينجن في مملكة سكسونيا وتخصص أولاً في الدراسات القديمة واللاهوت ثم دخل في خدمة ملوك بروسيا وانتقل إلى برلين حيث عين أستاذًا مساعدًا للدراسات القديمة في جامعتها 1825م ثم أصبح أستاذًا وظل في هذه الوظيفة إلى وفاته في 23 مايو 1886م في

<sup>1</sup> حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 76.

<sup>2</sup> سينوبوس، ش: المدخل إلى الدراسات التاريخية، 17.

<sup>1</sup> قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، 49، 57.

برلين. كان رانكة عميق الإيمان بالمسيحية على مذهب مارتن لوثر البروتستانتية وتأثر باتجاه (هيردر) نحو الاعتراف بالجانب الإنساني في التاريخ، وقال بفكرة التطور العضوي للجماعات وكذلك بأهمية العامل الفردي في توجيه الأحداث التاريخية ولكنه أنكر استخدام التاريخ للعظة والعبرة وهو مذهب معظم مؤرخي القرن الثامن عشر في أوروبا، وقال إن التاريخ ينبغي أن يدرس لذاته لا كوسيلة للتعليم والتهديب<sup>(1)</sup>.

وأهم ما تميز به (رانكة) ودعا إليه قوله بأننا ينبغي قبل كل شيء أن نعرف الأحداث والأحوال الماضية كما كانت بالضبط ودفعه إلى هذا الاهتمام بالوثائق اهتماماً بالغاً فلكني نعرف عصرًا ينبغي أن نراه في الأصول التي كتبت.

وإذا كان مؤرخو القرن الثامن عشر وعلى رأسهم إدوارد جيبون قد لفتوا أنظار الناس إلى أهمية دراسة التاريخ دراسة علمية وقيمتها الكبرى كدراسة إنسانية أصيلة فإنهم على الرغم من ذلك لم يصلوا إلى تثبيت أقدام التاريخ كعلم له أصول ومناهج مقررة في البحث فعلى الرغم من أن إدوارد جيبون وهب حياته كلها لدراسة التاريخ فإنه ظل يعتقد أنه ضرب من الأدب وقال عنه إنه "أذيع ضروب الأدب) وهي عبارة أنكرها عليه مؤرخو القرن التاسع عشر إنكارًا شديدًا ومنهم ليوبولد فون رانكة، والحق أن الذي يقرأ جيبون وفولتير على أنها أديبان يقدرهما بأكثر مما يفعل من يقرؤهما على أنها مؤرخان ومن عباراته المبدعة التي كتبها في مقدمته لكتابه عن اضمحلال الدولة الرومانية قوله: "إن كل صفحة من صفحات التاريخ ملطخة بدماء البشر وعنف الصراع بين الناس وغرور النصر واليأس من التوفيق وذكريات المظالم الماضية والخوف من الأخطار

<sup>1</sup> حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 76.

المقبلة وهذه كلها أمور تنير العقل ولكنها تسكت صوت عاطفة الإشفاق"<sup>(1)</sup> وهذه مقالة أديب وشاعر وليست قطعاً عبارة مؤرخ محترف لأن المؤرخ الممارس يعرف أن هذه كلها أشياء داخلة في تكوين الأحداث التاريخية.

ويؤخذ على مؤرخي القرن الثامن عشر كذلك قلة تنبهم إلى تطور الإنسان ومجتمعه وهم بهذا أقرب إلى الأخلاقيين منهم إلى العلماء أو المؤرخين المحترفين ولهذا فإنهم لم يستطيعوا أن يصلوا بالتاريخ إلى مرتبة اللوم التي تدرس في الجامعات. ليوبولد فون رانكة ومدرسته:

كان وضع التاريخ هذا والنظر إليه لا بد أن ينالها تغيير حاسم خلال القرن التاسع عشر الذي تميز بتزاحم الأحداث الضخمة التي أحدثت في الذهن الأوروبي ما يشبه الزلازل العنيفة العميقة المدى، وقد أحدث هذا الزلزال ثورة حقيقية في كل ميادين العلوم تقريباً وكان لا بد أن يكون للتاريخ نصيب من هذه الثورة فانتقل التاريخ من نطاق الهوايات أو الآداب إلى نطاق العلوم ذات الأصول والمنهج<sup>(2)</sup>.

وقد بلغ من حماس رانكة وتلاميذه لهذه الأصول أن انتشروا في الأرض يتقبون في كهوف المحفوظات ورفوف الأديرة باحثين عن الوثائق في حماس جعل الدول والإمارات والكنائس وغرف التجارة وبيوت الأشراف تهتم بتلك الأضابير فنشأ علم الوثائق وأخذت قواعده تستقر وقامت دور المحفوظات وأقبل طلاب التاريخ يدرسونها وكان كتابه الأول المسمى "تواريخ الشعوب اللاتينية والجرمانية"<sup>(3)</sup> وهو طراز جديد

<sup>1</sup> وجيه كوتراني: تاريخ التاريخ 234.

<sup>2</sup> جاك لوغوف: التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة 2007م.

<sup>3</sup> حسين مؤنس المرجع السابق، ص 77.

من التأليف التاريخي يقوم على الاعتماد على الأصول "الوثائق" وقد ذكر فيه (رانكة) آراءه السابقة، ولكنه وقع فيما وقع فيه ابن خلدون عندما عجز في تاريخه عن أن يطبق نظرياته التي بسطها في "المقدمة" فقد كان - مثلاً - ناقداً حصيفاً لأصوله التي اعتمد عليها ولكنه كان شخصياً غير موضوعي في الكثير من أحكامه، ومن أكبر وجوه النقص في تفكيره أنه في حماسه للنظام البروسي لم ير الحد الفاصل بين سعي بروسيا نحو الوصول إلى القوة واستخدام هذه القوة بعد ذلك<sup>(1)</sup> ووقع بذلك في الانحراف الذي وقع فيه الكثيرون من مفكري الألمان.

وكان اهتمام رانكة بالوثائق الرسمية ومكاتبات الدول سبباً في اهتمامه الشديد بالتاريخ السياسي والعسكري فلم ينتبه كثيراً للنواحي الاجتماعية والاقتصادية، وإذا كان قد أجاد فهم تاريخ بروسيا فإنه لم يوفق فيما كتبه عن موضوعات تاريخية غير أوربية ومثال ذلك مقاله عن (محمد) -- الذي نشره في المجلة التاريخية وهو دليل واضح على قلة علمه في ذلك المجال وقصوره عن إدراك حقيقة الإسلام ورسوله --<sup>(2)</sup>.

ولكن الذي أعطى رانكة مكانه الكبير في تاريخ علم التأريخ هو اهتمامه بالوثائق والمنهج الدقيق الذي وضعه لتنظيمها ودراستها وكانت الوثائق تسمى بالدبلوماسية، ولهذا فإن مدرسة (رانكة) تسمى بالمدرسة الدبلوماسية.

ومما يذكر له بالخير أسفاره المتعددة إلى بلاد أوروبا لفحص مجموعات الوثائق وتقارير السفراء والمكاتب الرسمية وإليه يرجع الفضل في إنشاء اللجنة التاريخية في أكاديمية (بافاريا للعلوم) وعلى مثال هذه اللجنة أنشئت في نواحي أوروبا كلها هيئات

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 77.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 78.

على هذا الغرار مهمتها نشر الوثائق العامة ووثائق الدولة والمدونات والخطابات فتهيأت السبل بذلك أمام المؤرخين ليقوموا دراساتهم على الأصول، وأنشأ (رانكة) كذلك المجلة التاريخية السياسية فكانت من طلائع الدوريات التاريخية التي قامت بالدور الذي نعرفه في ميدان الأبحاث التاريخية.

وكانت (رانكة) كذلك مولعًا بتنسيق المادة التي يحصل عليها والبحث عن التوازن في تصويره للأحداث والمجتمعات ولهذا فإنه لم يوفق إلى فهم الثورة الفرنسية مثلاً<sup>(1)</sup> لأنه لم يجد في أحداثها ذلك التوازن الذي كان يبحث عنه.

على أية حال يعتبر (رانكة) بشخصيته وحماسه ونشاطه ودأبه على العمل فاتح عصر جديد في تاريخ التأريخ فقد نقل التاريخ من ميادين الأدب والفلسفة إلى ميدان خاص به وأقبلت الجامعات تخصص له الكراسي وأنشئت دور المحفوظات ورتبت فيها الوثائق ووضعت تحت تصرف الباحثين ولا يمكن أن نغفل ذكر (نيبوه) في هذا المجال ولم يقتصر عمل رانكة ونيبوه ومدرستهما على تقرير أصول البحث التاريخي ومناهجه ووضع الأسس العلمية للنقد التاريخي بل إنهم عملوا على تأكيد مغزى الأحداث التاريخية واستمرارها وإدراك حركة التطور التاريخي وفهمها<sup>(2)</sup>.

وقد اتهم رانكة من بعض معاصره ومؤرخي الجيل التالي عليه بأنه جرد التاريخ من شاعريته وجعله سجلاً جافاً للحقائق المدعمة بهوامش ضخمة للأصول والمراجع وأخذ عليه أيضاً تعصبه لبروسيا وأسلوبها المحافظ في الحكم ومن هنا كان رانكة معادياً لكل

<sup>1</sup> حسين مؤنس: مرجع سابق، ص 79.

<sup>2</sup> Emery Neff, the Poetry of History (1947) P. 137.

حركات التحرر التي قامت في أوروبا في عصره، ومن هنا كانت الحملة عليه شديدة من جانب مؤرخين مثل دورنج ولورنتس ولامبرخت ويوهان جوستاف درويسن. وكان أكبر ناقديه يعقوب بوكارت وقد نفر من جموده وقضائه على الجانب الشعاري من التاريخ<sup>(1)</sup>.

ليوبولد فون رانكة وفلسفة التاريخ:

حديث (رانكة) فيما يسمه فلسفة التاريخ إنما هو في معظمه حديث في منهجية التاريخ وطريقة الكتابة التاريخية فهو يقسم التاريخ إلى:

- تاريخ أصيل وهو ما نسميه اليوم التاريخ المباشر أو المعاصر أي ما كتبه أهل العصر عن عصرهم أو عن أحداث شاركوا فيها أو شهدوها بأنفسهم ويضرب أمثلة لذلك بما كتبه هيرودوت وما كتبه يوليوس قيصر.

- تاريخ نظري وهو ما كتبه المؤرخ عن غير عصره كما نكتب عن الثورة الفرنسية، وهو يقسم هذا التاريخ النظري إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: كتابة الأحداث كما هي دون تدخل من المؤرخ فيها إلا بالترتيب الزمني أو الترتيب الموضوعي.

النوع الثاني: وهو ما يسمى بالتاريخ الكلي وفيه يهتم المؤرخ باستخلاص المعاني والعظة والعبر فهو بهذا يجعل للتاريخ قيمة عملية و(رانكة) يرى هنا أن هذا الاتجاه في كتابة التاريخ أمر لانهج فيه ولا طائل وراءه لأن الناس لا يتعظون بالتاريخ.

النوع الثالث: التاريخ النقدي وهو يستحق أن يذكر عل أنه نمط الدراسة التاريخية السائدة الآن في ألمانيا وهذه الطريقة لا تعرض علينا التاريخ نفسه بل نقد هذا التاريخ.

النوع الرابع: التاريخ الجزئي وهو يتخذ لنفسه موقفاً مجرداً لكنه مع ذلك يشكل مرحلة انتقال إلى التاريخ الفلسفي للعالم<sup>(1)</sup>.

وهناك أدوات عمل عند رانكة تساعد دارس التاريخ في بناء دراسته هي مجموع الأعمال التمهيدية التي قام بها باحثون سابقون وتناولت مسائل جزئية تعد أساساً ضرورياً لقيام الدراسات الشاملة لذلك فإن جميع هذه الدراسات الشاملة في حاجة إلى إعادة دراسة في ضوء ما اكتشف ونشر من مصادر ووثائق جديدة وما أنجز من دراسات جزئية عاجت جوانب تفصيلية مهمة تسمح بكتابات شاملة جديدة في ضوء المناهج الحديثة للدراسات التاريخية.

ليوبولد فون رانكة والنقد التاريخي:

أول خطوة يراها (رانكة) أنه يجب على دارس التاريخ القيام بها بعد جمع المصادر والمراجع وكافة المواد اللازمة لموضوع بحثه هي نقد هذه المصادر والمواد، أي فحص كل منها لتبين قيمته ومدى إمكانية الاعتماد عليه، فالوثيقة التي لا يعرف شيء عن مؤلفها وتاريخها ومكان كتابتها أو مصدرها هي وثيقة لا تساوي شيئاً ولا تكون عملية النقد إلا للمصادر والوثائق المكتوبة وتنقسم عملية النقد عند (رانكة) إلى قسمين:

نقد خارجي أو نقد تحصيل، ونقد داخلي.

يقوم النقد الخارجي على أساس تثبيت نص الوثيقة والتعرف على مؤلفها وزمانها والمكان الذي دونت فيه، أما النقد الداخلي فيعني بروايات النص لفهم معناها وتقدير

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام: هيجل محاضرات في فلسفة التاريخ، ج1، العقل في التاريخ ص63.

<sup>1</sup> كولنجوود: فكرة التاريخ، 30.

اتجاهات كاتبها ومدى تسرب الخطأ إليها<sup>(1)</sup> والأداة الرئيسية لنقد المصدر هي التحليل الباطن للوثيقة موضوع البحث والذي من شأنه أن يقدم أفكاراً كافية للدلالة على مصدرها ومعرفة كل ما يمكن معرفته عن مؤلفها<sup>(2)</sup>.

ويذكر رانكة بأن الشك والنقد في الروايات المختلفة إنما يرجع إلى أن التاريخ علم نقلي لا يتسع فيه المجال للاختبار والتجريب، كما أنه يتأثر أكثر من أي علم آخر بالأهواء الفردية والنزعات الاجتماعية وهو ما يطلق عليه (الذاتية) وعلى ذلك يرى رانكة أن مهمة المؤرخ هي استخراج حقيقة الماضي البشري بجزئياتها وكمياتها ثم عرضها، بأسلوب المؤرخ الذي يفرق مؤرخاً عن آخر<sup>(3)</sup> خاصة وأن التاريخ ليس له تفسير واحد بل إن كلامنا يفهمه ويفسره على قدر ما يستطيع ذهنه وعلى هذا فإنه لا يمكن القضاء على العنصر الشخصي (الذاتية) وأن التاريخ الموضوعي الصرف يكاد يكون، كما<sup>(4)</sup> يقول البعض لا وجود له.

---

<sup>1</sup> لانجلوا وسينووس، مرجع سابق، ص 69.

<sup>2</sup> قسطنطين زريق، مرجع سابق 74.

<sup>3</sup> قسطنطين زريق، مرجع سابق، ص 93.

<sup>4</sup> كولنجوود: مرجع سابق، 220، ود/ حسين مؤنس: مرجع سابق، 168.

ختاماً.

إن التفسير التاريخي عند ليوبولد فون رانكة يقوم على أساس تحليل المعرفة التاريخية وتركيبها ويتم التحليل من خلال عمليتين نقديتين هما: النقد الخارجي ويتضمن تصحيح الوثيقة.

ونقد المصدر وهو ما يقابل نقد السند عند المسلمين أو الجرح والتعديل الذي يمثل المرحلة الأولى في فحص الوثيقة التاريخية أي النظر في شخصية الراوي أو الناقل قبل الالتفات إلى معنى النص.

وعلى الرغم من دقة هذا النقد وصرامته فإنه لا يتعدى مستوى الظاهر والنقد الداخلي وينقسم أيضاً قسمين:

نقد سلبي يعني بالأمانة والدقة يقابل العدالة والضبط عند المسلمين.

ونقد إيجابي يطلق عليه نقد التفسير وهو نوعان:

تفسير يقوم على تحديد المعنى الحرفي للنص.

وتفسير يقوم على تحديد المعنى الكلي الذي يتضمنه النص وهو ما يقابل "نقد

المتن" عند المسلمين.

والقصد من هذه العمليات النقدية سواء أكانت نقدًا داخليًا أو خارجيًا هو التحليل

وهو العملية الأولى من النقد التاريخي.

أما العملية الثانية فهي (التركيب) أي تركيب ما حلل ويمر بعدة مراحل هي:

تجميع الوقائع.

البرهان.

إنشاء الصياغة.

العرض.

ويكون ذلك عن طريق تفسير الأحداث وربطها في إطار ما حولها من أحداث.

### قائمة المراجع

- ١- أسد رستم: مصطلح التاريخ- بحث في نقد الأصول وتحري الحقائق التاريخية وإيضاحها وعرضها وفي ما يقابل ذلك في علم الحديث، الطبعة الثالثة - صيدا - بيروت، منشورات المكتبة العصرية.
- ٢- إمام عبد الفتاح إمام: هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ، الجزء الأول، العقل في التاريخ.
- ٣- حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون- دراسة في علم التاريخ، ماهيته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة، بحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ، القاهرة، دار المعارف، 1984م.
- ٤- سينوبوس، شارل: المدخل إلى الدراسات التاريخية، نقله إلى العربية عبد الرحمن بدوي في كتاب النقد التاريخي، القاهرة، دار النهضة العربية 1970م.
- ٥- عثمان موافي: منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوروبي- الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1972م.
- ٦- قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين 1963م.
- ٧- كولنجوود، ر. ج: فكرة التاريخ،، ترجمة محمد بكير خليل، ومراجعة محمد عبد الواحد خلاف، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1968م.

التفسير التاريخي عند المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة 1795-1886م

الأستاذ الدكتور صالح حسن المسلوت

٨- هونشو، ف.ج: علم التاريخ ترجمه وعلق عليه عبد الحميد العبادي، القاهرة،  
لجنة التأليف والترجمة والنشر 1944م.

التفسير التاريخي عند المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة 1795-1886م

الأستاذ الدكتور صالح حسن المسلوت

التفسير التاريخي عند المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة 1795-1886م

وخلاصة القول:

النقد التاريخي ليس مجرد أداة أكاديمية لتقييم الماضي، بل هو جسر يربط بين الحاضر والماضي بطريقة علمية ومسؤولة، تمكّننا من فهم أعمق لجذور الحاضر وتحدياته. في عالم يزداد تعقيداً، اذ تصبح المعلومات أكثر تدفقاً وأحياناً أكثر تضليلاً، وتظهر الحاجة الماسة إلى تعزيز ثقافة النقد التاريخي كوسيلة للكشف عن الحقائق، وفهم الأبعاد المختلفة للأحداث التاريخية، وتصحيح الروايات المضلّة.

لقد حاولنا في هذا الكتاب تقديم أبحاث مختلفة في مجال النقد التاريخي، بداية من أهميته وآلياته العلمية، مروراً بضوابطه الأخلاقية والتطبيقات العملية التي تعزز دقته. فالنقد التاريخي هو أداة بناء وليس هدماً، يهدف إلى إزالة الغموض وإعادة بناء الماضي بعيون أكثر وعياً ودقة.

التصورات الختامية

من التصورات المهمة أن يصبح النقد التاريخي وسيلة لخلق حوار مجتمعي بناء، ويمكن لتصحيح التصورات التاريخية الخاطئة أن يساعد في تخفيف حدة النزاعات الثقافية والسياسية، فضلاً عن إعادة النظر في التاريخ بشكل نقدي قد تؤدي إلى تقارب الشعوب من خلال فهم أكثر واقعية لأحداث الماضي. وبالتالي فإن النقد التاريخي يساهم في بناء ثقافة الحوار.

مستقبل النقد التاريخي يكمن في استثمار التكنولوجيا الحديثة. يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل النصوص القديمة، وتتبع أصول الوثائق، وكشف التزوير أو التعديلات التي طرأت على النصوص مع مرور الزمن. على سبيل المثال، تطوير برامج لتحليل النصوص ومقارنة المخطوطات القديمة عبر تقنيات

التعلم الآلي يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة للبحث الأكاديمي. وهنا تبرز الحاجة لدمج التكنولوجيا مع التاريخ ومع النقد التاريخي. ومع ظهور تقنيات توليد المحتوى، مثل الذكاء الاصطناعي الذي يستطيع إنشاء روايات تاريخية مزيفة، يتعين على المؤرخين تطوير مهارات لمواجهة هذا النوع الجديد من التحديات، والتحقق من صحة الروايات التي ستنشأ في العصر الرقمي.

وفي عصر التحدي الأخلاقي في عصر المعلومات الرقمية، فإن تزوير الوثائق الرقمية وروايات الإنترنت المضللة يمثلان تحدياً جديداً للنقد التاريخي. لذلك يجب أن يصبح المؤرخ الناقد قادراً على التعامل مع هذا الواقع الجديد، عبر تطوير أدوات تحقق متقدمة واتباع مناهج تحقق صارمة لتحليل الروايات الحديثة. يمكن للنقد التاريخي أن يكون أداة لإعادة بناء الهوية الوطنية على أسس أكثر عدالة وتوازناً. قراءة التاريخ بوعي نقدي يتيح تجاوز الإيديولوجيات التي تركز الانقسام. وبالتالي يمكن أن يكون النقد التاريخي أداة لتعزيز وتحقيق المصالحة الوطنية في الدول التي تعاني من انقسامات تاريخية وسياسية.

وندعو إلى تعزيز حضور النقد التاريخي في المناهج الدراسية، ليس فقط كجزء من دراسة التاريخ، بل كمنهجية عامة لتعليم التفكير النقدي. من شأن هذا أن يُعد جيلاً قادراً على قراءة الماضي بموضوعية واستقلالية.

ويجب أن يتم تعزيز التعاون بين النقد التاريخي وعلوم أخرى، مثل علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، وعلم الآثار. هذا التكامل يضمن إعادة بناء الماضي بأسلوب أكثر شمولية ودقة.

وخلص القول فإن النقد التاريخي ليس مجرد أداة أكاديمية مغلقة في قاعات  
البحث الجامعي، بل هو وسيلة لإثراء حياة الأفراد والمجتمعات. إنه مرآة تُظهر  
لنا أخطاء الماضي وإنجازاته، وتمنحنا فرصة لنأخذ العبرة ونسير نحو مستقبل  
أكثر وعياً وإنسانية. فالماضي لا يموت، بل يعيش معنا، ونحن مسؤولون عن  
قراءته وفهمه بما يخدم تطلعاتنا المشتركة نحو الحقيقة والعدالة.